

مَهَامُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَوْجِيهِهِ أَسْلُوبَ الْقَصْرِ فِي بَعْضِهَا «دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ»

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري⁽¹⁾

جامعة الباحة

(قدم للنشر في 24/08/1443هـ؛ وقبل للنشر في 24/09/1443هـ)

المستخلص: يتناول البحث: دراسة المهام والوظائف التي كُلِّفَ بها النبي ﷺ من ربه جل وعلا، ويهدف إلى بيان مكانة السُّنَّةِ النبوية في القرآن الكريم، وحدودها في التشريع. والتعريفُ بِمهام النبي ﷺ في القرآن الكريم. ومناقشة دلالات الآيات التي قَصَّرَت مهام النبي ﷺ على الإنذار والتبليغ والتذكير. وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، الوصفي، التحليلي. ومن أهم نتائج البحث: أن السُّنَّةِ النبوية ضرب من ضروب الوحي الإلهي على نبينا محمد ﷺ، وهي مستقلةٌ بالتشريع، كالقرآن الكريم تمامًا. وأن مهمة الرسول ﷺ تشمل التبليغ، والإنذار، والتبشير، والتذكير، والحكم بالشرعية، وتحكيمها في حياة الناس، وإقامة حكم الله في الأرض، والجهاد في سبيل الله تعالى. وأن قصر مهمة النبي ﷺ على التبليغ يخالفها القرآن صراحة، حيث أمر الرسول ﷺ بأمر سابقا في مهامه. والقصر الوارد في القرآن، يدل القرآن نفسه على أنه قصر إضافي مجازي، لا يعني حصر مهمته في البلاغ فقط. ودعوى حصر مهمة الرسول ﷺ في القرآن بالتبليغ والتذكير لا تركز على أساس صحيح سوى أخذ بعض آي القرآن الكريم، وترك بعضها. ومن أهم توصيات البحث: إجراء مزيد من البحوث تُركز على منهج القرآن في كل مهمة من مهام النبي ﷺ.

الكلمات المفتاحية: مهام، وظائف، النبي، الرسول، القرآن الكريم.

The tasks of the Prophet, [PBUH], in the Noble Qur'an and directing the method of shortening in some of them "objective study"

Waleed bin Abdul Mohsen bin Ahmed Al-Omari⁽¹⁾

Al Baha University

(Received 27/03/2022; accepted 25/04/2022)

Abstract: Research deals: Studying the tasks and functions assigned to the Prophet [PBUH] by God almighty and on, Research aims: Explanation of the status of Sunnah in the Holy Qur'an. Description of the Prophet's [PBUH] responsibilities of in the Holy Qur'an. The implications of the verses that restricted the Prophet's mission to warning, notification and reminding. Research approach: descriptive, analytical, inductive. The most important results: The Prophetic Sunnah is the second source of legislation, and it is a completely independent one, which is a kind of divine revelation to our Prophet Muhammad. The mission of the Messenger was to inform, warn, preach, remind, rule by Sharia, and implement it in the people's lives. It also meant the establishment God's rule in earth, and jihad for the cause of God Almighty. Limiting the Prophet's mission to reporting from God is apparently contrary to the Holy Qur'an, as the Messenger was assigned to other missions as in the aforementioned lines. The shortening contained in the Qur'an shows that the Qur'an itself is an additional figurative shortening that does not imply limiting its task to the communication only. Claiming that the mission of the Prophet [PBUH] in the Holy Qur'an is limited to reporting and recalling is not based on a valid ground except to take some verses of the Holy Quran and leave some of them. Most important recommendations: Further research sheds light on the Qur'an's approach in each of the prophet's tasks.

Key words: Tasks, responsibilities, Prophet, Messenger, Qur'an.

(1) Associate Professor, Department of Islamic Studies, College of Arts, Al Baha University.

(1) أستاذ مشارك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الباحة.

البريد الإلكتروني: e-mail: waleed@bu.edu.sa

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

وبعد:

فإن السُّنة النبوية كانت غَرْصًا لأطراف شتى،
تختلف اتجاهاتهم، وانتهاءهم الفكرية «الأيدولوجية»،
لكنها تتفق على إقصاء السُّنة النبوية عن إطار التشريع،
وبناء الأحكام من نصوصها الشريفة بدعاوى متعددة،
ومتنوعة.

ومن صور هذا الإقصاء:

- دعوى الاستغناء بالقرآن الكريم عن السُّنة
النبوية، بدعاوى متعددة، يَصْلُحُ أن تُفرد كل دعوى منها
ببحوثٍ، لِتَقْدِّمَها، وبيان عوارِها.

- محاولة خلق تعارض بين القرآن والسُّنة،
والاحتجاج على بطلان السُّنة بالقرآن، ومن ذلك:
الاستدلال بالآيات التي حصرت مهمة الرسول ﷺ في
البلاغ، والإنذار، والتذكير.

وهذا منهج تتضح خطورته من محاولة الالتفاف
والتحايل على إقصاء السُّنة في الحكم والتشريع من خلال
الاستدلال بالقرآن كما يزعمون!

وهذا ما يُمكن تسميته بالمسار النقلي المُبتدع، كما
هو الحال في المسار العقلي المُبتدع!

فالمسار النقلي على إقصاء السُّنة يسير في هذا
العصر بمحاذاة المسار العقلي في محاولة لإقصاء السُّنة

النبوية من التحكيم، والتشريع، والتطبيق في مناحي
الحياة.

ومن هذا القبيل ظهرت الأطروحات⁽¹⁾ المناادية
بتحجيم السُّنة النبوية من خلال إبداء مهمة الرسول
ﷺ في القرآن، وأنها تدل على «كف يد النبي ﷺ عن
التشريع، أو الزيادة على القرآن»⁽²⁾، وقد ركب أصحابها
منهج القرآنيين⁽³⁾ في طرح السُّنة اكتفاء بالقرآن.

وتبرز خطورة هذه الأطروحات أنها تخاطب
النُخب المثقفة ثقافة غير شرعية في الغالب، وهم
يطرحون مضمونها على الملأ بكل جراءة؛ فيقوى وقوع

(1) ومن هذه الأطروحات التي ظهرت «الكتاب والقرآن» لمحمد
شحرور والذي زعم فيه: «أن الله ﷻ لم يعط لأحد الحق في
وضع حدود تشريعية ثابتة إلى أن تقوم الساعة...»، وكتاب
«من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث» لجورج طرابيشي الذي
كتبه بِنَفْسٍ أثري يُعنى بالآيات، وتحليلها والانطلاق منها،
والاعتماد على الآثار وأسباب النزول!

(2) من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث (ص 11).

(3) وهم فرقة يقوم منهجهم على الاعتماد على القرآن دون السنة في
التشريع الإسلامي، انتشرت في الهند منذ نهاية القرن التاسع
عشر، معتمدة على أفكار أعضاء حركة أحمد خان، ثم بدأ غلام
نبي المعروف بعبد الله جكرالوي مؤسس الحركة القرآنية نشاطه
الهدام بإنكار السنة كلها، وقد تزعم حركة القرآنيين في بداية
الأمر شخصيتان: محب الحق عظيم أبادي في بهار - شرقي الهند
- وعبد الله جكرالوي في لاهور في آن واحد من منبع متحد،
انظر القرآنيون لخدم بخش (ص 19-20)، وهو منهج لم
يندثر، بل بدت رؤوسه تطل هذه الأيام أكثر من ذي قبل.

غير المتخصصين في شَرِك أَقْوَاهُمْ!

وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿ (النساء:80)، ولم يكن صحابته ﷺ يستشكلون هذا الأمر، بل بلغ بهم فهمه أن يستفهموا عما يأمرهم به من أمور الدنيا التي يعرفونها ويُدركونها: أهو أمرٌ مُلْزَمٌ لهم، أم غير مُلْزَمٌ؟

ففي السِّير: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أشيروا عليَّ في المنزِل، فقال الحُباب بن المنذر لرسول الله ﷺ: رأيت هذا المنزل أمنزِلُ أنزلكه الله ليس لنا أن

نتقدّمه ولا نتأخّره؟ أم هو الرّأي والحرب والمكيدة؟

فقال رسول الله ﷺ: (بل هو الرّأي والحرب والمكيدة)⁽⁴⁾.

- رسم طريق لفهم هذه المهام، والمنزَع الوصفي لها من حيث التشريع؛ فإن منها مهامٌ فعلها النبي ﷺ بوصفه نبياً، ورسولاً؛ هدايةً لأمته، وتنويراً لأفهامهم،

(4) أخرجه الحاكم في المستدرک (رقم: 5801) من طريق يعقوب بن يوسف بن زياد، قال ثنا أبو حفص الأعشى، أخبرني بسام الصيرفي، عن أبي الطفيل الكناني، أخبرني حباب بن المنذر الأنصاري، قال: «أشرتُ على رسول الله ﷺ يوم بدر بخصلتين، فقبلها مني...، وقد روي هذا الأثر مُرسلاً من عدة طرق، منها ما أخرجه أبو داود في المراسيل (ص318) من طريق حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، وقد ضعّف الألباني هذا الأثر في تعليقه على فقه السيرة للغزالي (ص224)، والقصة مشهورة مستفيضة في كتب السِّير، انظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/224)، الطبقات لابن سعد (2/10)، وهي من الأبواب التي يتساهل العلماء في الرواية فيها، مع جزم بعضهم بثبوتها وصحتها، انظر أحكام القرآن، لابن العربي (1/391).

فاستعنت بالله ﷻ على تتبع مهام النبي ﷺ، وبيان وجه الاستدلال على عالمية الرّسالة النبوية، وحاكميتها من خلال آي القرآن الكريم، وتوجيه الآيات التي حَصَرَت مهمته ﷺ في التبليغ، والإنذار، والتذكير، وهو ما يُسمى عند البلاغيين بأسلوب القَصْر. أهمية البحث:

- يتعلق البحث بموضوع رأس في الأهمية، وأُس من أساسات الدِّين الذي بُعث به الرسول ﷺ؛ إذ هو غاية بعثته، وقصدُ دعوته، ومحورُ وظيفته ﷺ.

- وفهم هذه المهام الشريفة التي كُلف بها: نبراس هداية لمن أراد أن يقفُ سبيله، ويختط طريقه، وقد جاء القرآن بيانا غاية البيان، وتوضيحها أتم الوضوح: ﴿ قُلْ هِدَايَةَ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: 108)، فكل من أراد أن يكون من أتباعه في هذا السبيل؛ لا بد له من معرفة المهام التي كُلف بها، وأوكلت إليه، وفهم دلالات هذه المهام؛ ليكون على بصيرة وهدى فيما يدعو إليه، وما يأتي ويذر.

أهداف البحث:

- بيان: أن رسول الله ﷺ أرسل لبيان الدِّين، وتبليغ رسالة رب العالمين، ولذا كان بلاغُه؛ بلاغاً عن الله، وطاعته؛ طاعة لله: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

وما لم يع المسلمون حقيقة الرسالة التي شرفوا بحملها، والأمانة المترتبة عليها؛ سهلت مُحَادَ عَتَهُم بِالْأَلْفَاظِ الْبَرَاقَةِ، والدَّعَايَاتِ الْمُضَلِّلَةِ التي تُقَدِّمُ الْإِسْلَامَ لِلْأُمَّمِ بأنه دين وعظ وتذكير فقط، ولا يحمل في طياته منهج حياة، وشريعة حاكمة في مناحيها.

مشكلة البحث:

قاد الخوض في طبيعة الرسالة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - وتصدر الذين يتبعون الشبهوات للتنظير فيها بدوافع شتى، إلى اغترار كثير من المسلمين بهذا التنظير الخاوي عن العلم الصحيح، المُستمد من القرآن الكريم، وسنة نبيه الكريم ﷺ، فما هي مهام النبي ﷺ التي كُلف بها؟ وما هو الطريق الصحيح لمن أراد شرف متابعتة ﷺ؟ وهل يصح تحجيم دور الشريعة - في حياة الناس - بالاستدلال بآيات يُفهم منها حصر دعوته ﷺ في حدود لا يتجاوزها، وترك آيات أخر؟!

يُحاول البحث الإجابة عن هذه الأسئلة بالدليل الشرعي، والتعليل العلمي، ولا يشك الباحث أن الأمة مغروس في أفئدة أبنائها الخير، وحبّه؛ متى يُبْن لهم سبيله، وفهموا حقيقته.

الدراسات السابقة:

أشار بعض العلماء لموضوع مهام، ووظائف الرسول ﷺ، كالطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير

ومنه ما فعله ﷺ باعتباره إمامًا، وقائدًا للمسلمين؛ كالحكم في الشريعة، والجهاد في سبيل الله ﷻ، وهذه كالضوابط في فهم المهام التي كُلف بها، تقي من الافتتات على المسلمين، ومن أوكلوا له تدبير أمورهم العامة؛ كالحكّام.

- معالجة الجانب التأصيلي لمهام الرسول ﷺ في

القرآن، وتوجيه الآيات التي يُفهم منها: أن مهمته ﷺ إنما هي محصورة في التذكير، والبلاغ، والإنذار، وتقويم الاستدلال الخاطيء بها؛ كما في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۗ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيِّرٍ ﴾ (الغاشية: 21-22)، إذ تُساق في وصف رسالة الإسلام بأنها رسالة تذكير، ووعظ فقط، ولا تشمل وضع منهج تطبيقي لشرائع الإسلام، والدعوة إليه، وتحكيمه فيما قلّ، وكثُر، والذود عنه.

وقُل مثل ذلك في الآيات التي تقصر مهمة الرسول ﷺ على الإنذار والبلاغ، وخطورة تععيد هذا المعنى في فهم الأجيال.

وعندما تُعرض مهام رسول الله ﷺ في القرآن، وتستين معانيها؛ تُثمر فهماً حقيقياً لرسالة الإسلام، التي أمر نبي الإسلام ﷺ بإبلاغها، وتكشف الغطاء عن محاولات تحجيم هذه الرسالة العظيمة التي جاءت لصنع حياة الناس بمنهج الله الحكيم بما شرع، العليم بما يصلح لهم، ويُصلحهم، والرحيم بهم أعظم من رحمتهم بأنفسهم.

والننوير، والشيخ رشيد رضا في تفسير المنار، وسيأتي بعض الاقتباسات من كلامهما عند التعرض لمهام النبي ﷺ في القرآن الكريم.

إلا أنني لم أجد من درسها دراسة موضوعية من خلال القرآن الكريم، وربطها بأهمية السنّة النبوية، وأثرها في حياة المسلمين، وكذا التنويه بأن الآيات التي ورد فيها حصر مهمته ﷺ في البلاغ، والإنذار، والتذكير؛ إنما هي في إطار الاقتراحات التي قدّمها أعداء رسالة الإسلام في بدء الدعوة لها، ولذا فهمها العلماء في هذا السياق، ودلّ عليه: أن القصر، والحصر في هذه الآيات، يفهم من اللغة التي نزل بها القرآن، وهو قصرٌ إضافي لا حقيقي؛ يُناسب التركيز على إشكالات المعارضين لدعوته ﷺ في زمنه.

مع الاختصار في الاستدلال، وانتقاء الشواهد.

- الاجتهاد في ضبط الاستدلال بما يتوافق مع مناهج العلماء في الاستدلال، وعدم الخروج عن أقوال أهل العلم في التفسير والاستنباط بتفردٍ أو شذوذ.

- مراعيًا آداب البحث، وأمانة النقل، وخدمة النص على ما أصبح عُرفًا في البحوث العلمية.

خطة البحث:

رتبت أفكار البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

- المقدمة تشتمل على التعريف بالبحث، وخطته.
- التمهيد: في دلالة القرآن على حُججية أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، والتعريف بآيات القصر المعنيّة في البحث.
- المبحث الأول: مهامُّ الرسول ﷺ في ضوء القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: ما ليس من مهام رسول الله ﷺ.

والتنوير، والشيخ رشيد رضا في تفسير المنار، وسيأتي بعض الاقتباسات من كلامهما عند التعرض لمهام النبي ﷺ في القرآن الكريم.

إلا أنني لم أجد من درسها دراسة موضوعية من خلال القرآن الكريم، وربطها بأهمية السنّة النبوية، وأثرها في حياة المسلمين، وكذا التنويه بأن الآيات التي ورد فيها حصر مهمته ﷺ في البلاغ، والإنذار، والتذكير؛ إنما هي في إطار الاقتراحات التي قدّمها أعداء رسالة الإسلام في بدء الدعوة لها، ولذا فهمها العلماء في هذا السياق، ودلّ عليه: أن القصر، والحصر في هذه الآيات، يفهم من اللغة التي نزل بها القرآن، وهو قصرٌ إضافي لا حقيقي؛ يُناسب التركيز على إشكالات المعارضين لدعوته ﷺ في زمنه.

حدود البحث:

المهام التي كُلف النبي ﷺ بالقيام بها في القرآن الكريم، في تبليغ الدين، والدعوة إليه، وتطبيقه، سواءً بالأمر الصريح، أو ما يقوم مقامه.

منهج كتابة البحث:

- سلكتُ في كتابة البحث: المنهج الاستقرائي، الوصفي، التحليلي، وهو المناسب لمثل هذه الدراسات التي يُراد منها: تصوّر حقيقي، مُتكامل في وصف قضية معرفيّة.

- قدمتُ للبحث بدراسة تأصيليّة في أهميّة السنّة

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوتًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (الأعراف: 157)، وقوله: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: 40).

فجمع له الله ﷻ بين النبوة، والرِّسالة، وهي منزلةٌ أكمل من منزلة النبوة فقط، وشاركه فيها غيره من أنبياء الله، ورُسُلِهِ⁽⁵⁾.

وجاء بعد هذه القرون المتطاوله من يزعم أن رسول الله ﷺ رسول لا نبي⁽⁶⁾.

فما هو الهدف من ذلك؟ وهل بين الوصفين فرق؟

قال الخطَّابي (ت: 388هـ)⁽⁷⁾: «والفرق بين النبي، والرسول: أن النبي هو المنبوء، المنبأ، المخبر، فعمل بمعنى مفعول، والرسول هو المأمور بتبليغ ما نبئ وأخبر به، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً».

(5) كما في قوله سبحانه: ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مِيسَةَ إِنَّهُ كَانَ مَخْلُصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم: 51)، ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم: 54).

(6) قارن بما كتبه جورج طرابيشي في كتابه «من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث» (ص 11). حيث أنكر أن الرسول ﷺ خُوطب في القرآن بلفظ النبوة!

(7) أعلام الحديث (1/ 298).

• المبحث الثالث: دلالة القصر في مهمة التبليغ والإنذار والتذكير، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: أسلوب القصر، معناه، ودلالاته.
- المطلب الثاني: دلالة أسلوب القصر على مهمة التبليغ والإنذار والتذكير.

• ويتبع ذلك خاتمة في أهم النتائج، والتوصيات. أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل.

التمهيد

دلالة القرآن على حُجِّية أقوال الرسول ﷺ وأفعاله

خاطب الله جل وعلا نبيه ورسوله محمداً ﷺ في القرآن الكريم بلفظ الرِّسالة، ولفظ النبوة على حدٍ سواء. فوصفه بالنبوة؛ وتكرر الخطاب له بها في ما يُقارب ثلاثين موضعاً في القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال: 64)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب: 6).

وخاطبه موصوفاً بالرِّسالة في أكثر من خمسين موضعاً، منها: قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيَا الرَّسُولَ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (المائدة: 67)، وقوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران: 32).

وخاطبه بالجمع له بين النبوة والرِّسالة؛ فقال

وأما الجواب عن السبب في وصف رسول الله ﷺ بالرِّسالة دون النبوة، فهي محاولة لتجريده من التشريع، والبيان، وقصر السُّنة على ما وافق القرآن، وقد صرَّح بغايته في صفحات كتابه الأولى، حيث يقول: «ولنشرع الآن - مع القارئ - برحلتنا الاستقرائية مع الآيات القرآنية التي تؤكد ما ذهبنا إليه من أن الرسول مكفوف اليد من الناحية التشريعية، فضلا عن أنه مُعطل عن الإرادة الذاتية، منهى عن المبادرة، ومطالب بالخضوع التام من حيث هو مُرسَل للمشيئة الإلهية المُرسلة، وهذا تحت طائلة العقاب»⁽¹¹⁾.

وهذا الكلام بعضه صوابٌ يورد في مقام المدح، لا القدح، وبعضه محضُ تَقْوَل، لا دلالة عليه، ولا بُرْهان، فأما أن الرسول ﷺ مُعطلٌ عن الإرادة الذاتية، مُطالبٌ بالخضوع التام، وتحت طائلة العقاب، فكل أولياء الله، من الأنبياء، والمُرسلين، والملائكة المُكرمين؛ هم كذلك، وليست هذه الأوصاف - مع حكايته لها بأسلوب فيه تطاول - تخصُّ الرُّسل دون الأنبياء، بل لا فرق، وعلى المُدَّعي: البيِّنة، وأنى له ذلك.

قال سبحانه - في حق ملائكته -: ﴿تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: 50)، وقال في حق أنبيائه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ

وقال ابن المُلقِّن (ت: 804هـ)⁽⁸⁾: «والرُّسل: جمع رسول، وهو: المأمور بتبليغ الوحي إلى العباد، وهو أخصُّ من النبي؛ فإنه: الذي أُوحيَ إليه العمل والتبليغ، بخلاف النبي، فإنه: أُوحيَ إليه العمل فقط». وعلى هذا التفريق جمعٌ كبيرٌ من العلماء. ومن أهل العلم من لم يُفرق بينهما من هذه الحيثية⁽⁹⁾؛ لأن القرآن وصف كليهما بالإرسال، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ﴾ (الحج: 52). فالآية نصٌّ: أن الرسول مُرسَلٌ من ربه، والنبي كذلك.

«واستظهر بعضهم: أن النبي الذي هو رسول، أنزل إليه كتابٌ، وشرعٌ مستقل، مع المعجزة التي ثبتت بها بُبُوته، وأن النَّبِيَّ المُرسَل - الذي هو غير الرُّسول -: هو من لم ينزل عليه كتاب، وإنَّها أُوحيَ إليه أن يدعو النَّاسَ إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يُرسلون، ويؤمرون بالعمل بما في التوراة؛ كما بينه تعالى بقوله: ﴿حَكِّمُوا بِهَا النَّبِيِّينَ الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ ... الآية (المائدة: 44)⁽¹⁰⁾.

(8) المعين على تفهم الأربعين (ص 39).

(9) كشيخ الإسلام في النبوات (2/ 714)، والشيخ الأمين الشنقيطي في أضواء البيان (5/ 290).

(10) أضواء البيان (5/ 290)، وقريب منه كلام شيخ الإسلام =

= في النبوات (2/ 714).

(11) من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث (ص 11).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

والسؤال الجوهرى هنا:

هل وظيفة الرسول ﷺ في القرآن تقتصر على

البلاغ والتذكير فقط؟

وهل الأمر والنهي الوارد على لسانه ﷺ وحي

إلهي إذا لم يرد في القرآن؟

وقبل أن أشرع في الرد على السؤال الأول - وهو

موطن الحديث في هذا البحث - أشير باقتضاب إلى

الجواب عن السؤال الثاني؛ كتمهيد لما قبله:

منزلة السنة في القرآن الكريم:

إن آيات القرآن تدل على وجوب الالتزام بطاعة

الرسول ﷺ مطلقاً دون قيد ولا شرط، فلا فرق بين ما

يُخبر به منسوباً إلى الله تعالى - وهو القرآن - وبين ما

يُخبر، أو يأمر وينهى عنه باعتباره نبياً يوحى إليه.

1- ولذلك جاء الأمر بطاعته معطوفاً على طاعة

الله، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: 59).

قال الإمام الشاطبي: «تكراره الفعل ﴿وَأَطِيعُوا﴾

يدل على عموم الطاعة بما أتى به مما في الكتاب، ومما ليس

فيه، مما هو من سنته»⁽¹²⁾.

ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ

قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ءِصْرِي ؕ قَالُوا ءَأَقْرَرْنَا قَالَ

فَاشْهَدُوا ؕ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿آل عمران: 81﴾.

وهل الإقرار ينشأ إلا بخضوع إرادة، وتسليم

تام، وخشية عقاب؟

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغُلَّ

يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؕ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 161)، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ

أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا

عِبَادًا لِي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: 79).

أهذا خطابٌ إلى مُتَرَفِّعٍ عن الخضوع، والتسليم،

والخشية؟

وهل أحدٌ من أولياء الله يترفع عن العبودية، أو

يستنكف عنها؟

قال تعالى: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا

لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ؕ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَن عِبَادَتِهِ

وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: 172).

فهذا يُبين أن الرجل يُلقى الكلام على عواهنه، بلا

تحقيق، ولا بُرهان، وسيأتي في أثناء البحث الرد عليه في

ادّعاء أن الرسول مكفوف اليد عن التشريع، أو أنه منهى

عن المبادرة، وبيان أن من مهامه ﷺ الاجتهاد في

الأحكام، وذلك في المبحث الثاني.

(12) الموافقات (3/ 229).

خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب فجاءت فقالت: إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي ألعن من لعن رسول الله ﷺ، ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته، أما قرأت: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾؟⁽¹⁵⁾

قالت: «بلى، قال: فإنه قد نهي عنه، قالت: فيأني أرى أهلك يفعلونه، قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئاً، فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها».

قال السمعاني (ت: 562هـ): «فالسنة وإن لم تكن منزلة؛ فهي كالمنزلة بحكم تلك الآية»⁽¹⁵⁾.

3- وأصرح منها في الدلالة: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: 36).

فالآية تُساوي بين قضاء الله، وقضاء رسوله ﷺ في وجوب الالتزام، وحرمة اختيار ما يصادهما.

4- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى: 52).

إذا كانت طاعة الرسول تكون فقط فيما يُبلغه عن ربه تعالى؛ فلماذا عطف الله تعالى طاعته ﷺ على طاعته سبحانه؟ ولما وقع التمييز، رغم أن هناك آيات أخر تدل على أن طاعته ﷺ هي عين طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (النساء: 80).

2- ومن الأدلة: قول الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: 7).

وهي تُبين بجلاء نسبة الأمر والنهي له ﷺ.

وقد أخرج البخاري (ت: 256هـ)⁽¹³⁾ في صحيحه من طريق علقمة (ت: 67هـ): قال عبد الله: «لعن الله الواشيات والمستوشيات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله تعالى» مالي لا ألعن من لعن النبي ﷺ، وهو في كتاب الله: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾.

وهذا الحديث عن عبد الله بن مسعود (ت: 32هـ) ورد في قصة يُستحسن ذكرها؛ فقد أخرج البخاري⁽¹⁴⁾

عن علقمة، عن عبد الله، قال: «لعن الله الواشيات والموتشيات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات

(13) أخرجه في كتاب اللباس، باب: المتفلجات للحسن (رقم: 5931).

(14) أخرجه في كتاب التفسير، باب: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ (رقم: 4886).

(15) تفسير السمعاني (2/164).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

6- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزُكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:164)، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزُكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:2).

والحكمة المذكورة هنا: هي مجمل الوحي، والعطف في الآية من باب عطف العام على الخاص، فإن الحكمة تشمل الكتاب، وتشمل السنة⁽¹⁸⁾.

قال الطبري (ت:310هـ) - بعد أن ساق تفسيرات السلف في معنى الحكمة -: «والصواب من القول عندنا في الحكمة: أنها العلم بأحكام الله التي لا يُدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من الحكم الذي بمعنى الفصل بين الحق، والباطل،... وإذ كان ذلك كذلك؛ فتأويل الآية: ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم كتابك الذي تنزله

قال الإمام الشافعي (ت:204هـ): «وفي شهادته له: بأنه يهدي إلى صراط مستقيم صراط الله، والشهادة بتأدية رسالته، واتباع أمره، وفيما وصفت من فرضه طاعته، وتأكيده إياه في الآي، ذكرت ما أقام الله به الحججة على خلقه بالتسليم لحكم رسول الله، واتباع أمره. قال الشافعي: وما سنَّ رسول الله فيما ليس الله فيه حكم، فبحكم الله سنَّه، وكذلك أخبرنا الله في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَهْدِيكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:52)، وقد سنَّ رسول الله مع كتاب الله، وسنَّ فيما ليس فيه بعينه نص كتاب، وكل ما سنَّ؛ فقد ألزمتنا الله اتباعه، وجعل في اتباعه: طاعته، وفي العنود عن اتباعها: معصيته التي لم يُعذر بها خلقا»⁽¹⁶⁾.

5- وأمر سبحانه بالإذعان لحكمه، فقال: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:65).

قال ابن القيم رحمته الله: «أقسم الله ﷻ أصدق قسم، وأبره، أنا لا نؤمن حتى نُحكِّمه فيما شجر بيننا، ثم نرضى بحكمه، ولا يلحقنا فيه حرج، ونسلم له تسليماً لا إلى غيره كائناً من كان»⁽¹⁷⁾.

(18) يُنظر للاستزادة في تفسير الحكمة: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (236/1)، جامع البيان، للطبري (577/2)، مجالس في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:164)، لناصر الدين الدمشقي (ص109-111 و270-277).

(16) الرسالة (88/1).

(17) زاد المعاد (259/5).

ولا شك أن تتبع الآيات التي تأمر بطاعة رسول الله ﷺ وتُلزم بامتثال أمره أكثر مما تحتمله هذه المقدمة بين يدي البحث؛ ولكنها إشارة لعظم هذا الأصل عند المسلمين جميعاً.

المبحث الأول

مهام الرسول ﷺ في القرآن

قبل أن نشرع في ذكر مهام النبي ﷺ في القرآن لا بد من تأصيل لوجه العمل بهذه المهام التي كُلف بها ﷺ، وبيان الصفة التي على ضوءها أمر بهذه المهمة، وقام بها. فلا بد من تعيين منزع القيام بهذه المهام حتى لا يترتب على ذكرها فهم أنها عمل يُشرع من كل أحد، في كل وقت، فالنبي ﷺ أمر بالجهاد بعد الهجرة، وبعد قيام دولة الإسلام، بل نُهي عن الجهاد قبل مهاجره، كما في قوله تعالى: ﴿الْمَرَّةَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَامَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُحَاشُونَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: 77).

فقبل الأمر بالقتال، كانت هناك مرحلة: الكف عنه؛ لأن الوقت المناسب لشرعه لم يحن بعد. وقد قَسَم العلماء أفعال النبي ﷺ من حيث

عليهم، وفَصَل قضائكم، وأحكامك التي تعلمه إياها»⁽¹⁹⁾. وهذا دليل على أن ما جاء به النبي ﷺ هو من وحي الله تعالى، فمن هذا الوحي الكتاب، وهو: القرآن الكريم⁽²⁰⁾.

ومما يؤكد ما سبق؛ قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113).

فهذه الآية تُبين أن الحكمة ليست العقل، والفهم، والفقهاء في التأويل، كما قاله بعض المفسرين⁽²¹⁾، فإن هذه توهب، أما الإنزال فهو خاص بالوحي.

وهذا الشأن أيضاً في الأنبياء السابقين⁽²²⁾، فقد أخبر الله تعالى أنه أتى آل إبراهيم - وهم أهله وأتباعه على دينه -: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (النساء: 54)، وقال تعالى في شأن عيسى ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران: 48).

(19) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (237/1)، تفسير الطبري (577/2)، تفسير ابن كثير (444/1).

(20) جامع البيان، للطبري (577/2).

(21) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (237/1)، جامع البيان، للطبري (577/2)، تفسير القرطبي (131/2)، تفسير ابن كثير (444/1).

(22) انظر: جامع البيان، للطبري (158/7)، تفسير ابن كثير (336/2).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

والرؤساء، وليس ما ورد عنه ﷺ فيما يخص هذا الوصف مأمورٌ آحاد الناس، وأفرادهم بالتأسي فيه؛ فكل ما أنيط بالإمام والحاكم من مسؤوليات لا يجوز لأحد الناس، وأفرادهم منازعته فيه، وهذا كالجهد في سبيل الله، والحقم بين الناس، بصفة الحاكم المُلزم حكمه.

تصرفه ﷺ بوصف القضاء، فهذا النوع: «لا يجوز لأحد أن يُقدم عليه إلا بحكم حاكم، اقتداء به ﷺ، ولأن السبب الذي لأجله تصرف فيه ﷺ بوصف القضاء يقتضي ذلك»⁽²⁵⁾.

وعليه فما سيذكر في مهامه ﷺ فلا بد من حمله على الوصف الذي أمر به النبي ﷺ، وقام به. مهام الرسول ﷺ في القرآن:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٤﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٥﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ (الأحزاب: 45-47).

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: 164).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

صِفته القائمة بالعمل⁽²³⁾:

فالأصل في تصرّفه ﷺ: البلاغ، كالتعليم، والإرشاد، ويدخل فيه الفتيا⁽²⁴⁾، والأصل في هذا النوع: أنه تشريعٌ عامٌ للأمة؛ لأن هذه من أبرز مهامه ﷺ، قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ (البقرة: 129)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: 164)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: 2).

تصرفاته ﷺ من حيث هو إمام للمسلمين في الإمامة الكبرى، يصُدُّون عن رأيه، وأمره، فهذه يتقدي به فيها من كان في مثل صفته، كالحكام،

(23) انظر: الفروق الفقهية، للقرافي (1/357)، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للقرافي (ص 46، 99)، أفعال الرسول ودلالاتها على الأحكام الشرعية (1/435).

(24) قال القرافي في الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام (ص 100): «وأما تصرّفه ﷺ بالحكم فهو مغايرٌ للرسالة والفتيا؛ لأنَّ الفتيا والرسالة تبليغٌ محضٌ، وأتباعٌ صرفٌ، والحكمُ إنشَاءٌ وإلزامٌ من قبله».

(25) الفروق، للقرافي (1/358).

من خلال هذه الآيات يتضح لنا طرفاً من مهام

الرسول ﷺ في القرآن، فمنها:

1- الشهادة على الأمة:

فقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (الأحزاب: 45)، وفي سورة الفتح (آية: 8) مثلها، وقوله: ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: 143).

والشهادة كما يقول قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: 118هـ):

«على أمتك بالبلاغ»⁽²⁶⁾، وعلى هذا فلا فرق بين شهادته ﷺ على أمته، وشهادة الأنبياء قبله على أمهم، قال سبحانه: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: 41)، وقال جل وعلا: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ (النحل: 89)، وقال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ (الزمل: 15).

فالظاهر من هذه الآيات أن الله ﷻ يُشَهِدُ أَنْبِيَاءَهُ ﷺ على أمهم يوم القيامة؛ إمعاناً في قيام الحجّة، وتبكيّاً للمكذّبين.

وشهادته ﷺ تتضمن: شهادته بتبليغ الرسالة، وشهادته لمن امثل، وعلى من عصي، كما قال تعالى عن نبيه عيسى ﷺ: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا إِلَهًا رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي

كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة: 117).

فَخَلَّصَ مِنْ هَذَا: أن شهادة النبي ﷺ على أمته تكون: بالبلاغ، كما قال سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيَا الرَّسُولَ بِلَغٍ مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة: 67).

وتبليغ الرسالة الإلهية هي المهمة الأولى لنبينا محمد ﷺ فقد بعثه الله تعالى لدعوة الناس إلى دين الله الذي ارتضاه للبشرية عامة، قال سبحانه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: 44)، فأبان أن من غايات بعثته ﷺ وأولى مهامه: تبين القرآن لأتباعه.

والتبيين هنا: كُـلُّ مَا أَفْهَمَ الْمَرَادَ⁽²⁷⁾، وهو على وجوه - كما قال الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (ت: 204هـ): فأوضح البيان: ما «أبانه لخلقه نصاً. مثل جمل فرائضه، في أن عليهم صلاة، وزكاة، وحجاً، وصوماً، وأنه حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونصّ الزنا، والخمر، وأكل الميتة والدم، ولحم الخنزير، وبيّن لهم كيف فرّض الوضوء، مع غير ذلك مما بين نصاً»⁽²⁸⁾.

(27) ويُعنى به عند الأصوليين: «ما فهم منه عند الإطلاق معنى؛ فيشمل

النص والظاهر» معالم أصول الفقه، د. الجيزاني (ص 89).

(28) الرسالة، للشافعي (1/ 21).

(26) جامع البيان، للطبري (19/ 126).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله (ت: 842هـ⁽³⁰⁾): «فسر الجمهور (الآيات) هنا بالقرآن، ثم أعيد ذكره بالتعليم مقروناً مع السنة في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؛ ليُعلم أنه لا سبيل إلى معرفة الآيات التي هي القرآن؛ إلا من قبل النبي ﷺ بتعليمه إياه للمؤمنين. وتعليمه على قسمين:

- تعليم تلاوته: كما أنزل، وهو المشار إليه بقوله تعالى - وهو أعلم -: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾.
- والثاني: تعليم تفسيره ومعانيه، التي يشملها علم القرآن، وأشير إليه - والله أعلم - بقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة التي منها: بيان ما في القرآن من الأحكام ونحوها، إجمالاً وتفصيلاً، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا من قبل النبي ﷺ، وقال: «أن الله ﷻ رفع مقام نبيه محمد ﷺ بأن وضعه من دينه موضع الإبانة عنه: ما أراد سبحانه بكتابه: عاماً وخاصاً، وفرضاً وندباً، وإباحةً، ووقتاً، وعدداً، فقال الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44).

وجعل سبحانه للنبي ﷺ أن يسُنَّ مما ليس فيه نص كتاب، وهذا أحد الأحكام التي في هذه الآية

والنوع الثاني من البيان: «ما أحكم فرضه بكتابه، ويُنَّ كيف هو على لسان نبيه؟ مثل عدد الصلاة، والزكاة، ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه»⁽²⁹⁾.
ومن صور تبليغ دين الله:

1- إقراء أمته كلام الله، قال تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ (آل عمران: 164).

2- شرح بيان معاني كلام الله، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: 44)، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (النحل: 64).

ولا شك أن تبين معاني كلام الله هو أمر زائد على بيان المعنى اللغوي، فإن المخاطبين بالقرآن عربٌ خُلص، يفهمون معاني القرآن بسليقتهم العربية، فاقضى أن يكون البيان معنى زائداً على مجرد التلاوة.

ولذلك قال الإمام الشاطبي: «وذلك التبليغ من وجهين: تبليغ الرسالة، وهو الكتاب.

وبيان معانيه: - وكذلك فعل ﷺ، وجزاه عنا أفضل الجزاء بمنه وفضله - فأنت إذا تأملت موارد السنة وجدتها بيانا للكتاب، هذا هو الأمر العام فيها»⁽²⁹⁾

وبيان الدين، هو: التعليم في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران: 164)، قال

(30) مجالس في تفسير قول الله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾،

لابن ناصر الدين الدمشقي (ص 335).

(29) الموافقات، للشاطبي (3/ 230).

أصحابه في حِلٍّ، وترحال، وهجرة، وجهاد، هل ذلك كله ليلغهم القرآن مجرداً عن التبيين، والفهم، والتفسير العلمي، والعملي؟

فإذا تبين لنا: أن النبي ﷺ مأمورٌ بتبيين القرآن

للناس، فما هي حدود هذا البيان؟

صور البيان النبوي للقرآن:

أولاً: تعيين الدلالات الشرعية للألفاظ القرآنية.

ومن أمثلة ذلك تفسير «الصُّور» في قوله تعالى:

﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (الأنعام:73)، فعن

عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (ت:65هـ): «أن أعرابياً سأل

النبي ﷺ عن الصُّور؟

فقال: (قرنٌ يُنْفَخُ فيه)»⁽³³⁾.

والعرب تعرف الصُّور، وله معانٍ عندهم⁽³⁴⁾،

لكن سياق نظم الآية أشكل عليه؛ فسأل عنه، وهذا

شَرَحٌ لألفاظ القرآن، بغير ما تعهده العرب في لغتها.

(33) أخرجه أحمد في مسنده (رقم:6506)، وأبو داود، كتاب

السنة، باب في ذكر البعث والصور (رقم:4744)، والترمذي،

كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور (رقم:2430)،

وقال: حديثٌ حسن، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير،

باب قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ (رقم:

11424)، والحاكم (رقم:3688)، وقال: «صحيح الإسناد،

ولم يُجرجه»، وصححه الذهبي، وقال الأرنؤوط في تعليقه على

المُسند: «إسناده صحيح، رجاله ثقات».

(34) انظر: لسان العرب، لابن منظور (4/2522-2525).

الشريفة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران:164)، وهما: القرآن المعظم، والسنة التي شرعها النبي ﷺ⁽³¹⁾.

وكلام ابن ناصر الدين هذا، هداية لمن بحث عن

الحق في فتنة تهوين شأن سنة رسول الله ﷺ، والادعاء

بأن القرآن يُعني عنها، ومحاولة التحايل على طرحتها بكل

سبيل.

ولذلك قال الشيخ السباعي رحمته الله (ت:1384هـ):

«إن إنكار حجية السنة، والادعاء بأن الإسلام هو القرآن

وحده، لا يقول به مسلمٌ يعرف دين الله، وأحكام

شريعته تمام المعرفة، وهو يتصادم مع الواقع، فإن أكثرها

بالسنة، وما في القرآن من أحكام إنما هي مُجملة، وقواعد

كُلِّية في الغالب، وإلا فإين نجد في القرآن: أن الصلوات

خمس، وأين نجد ركعات الصلاة، ومقادير الزكاة،

وتفاصيل شعائر الحج، وسائر أحكام المعاملات

والعبادات..»⁽³²⁾.

فمن ادعى أن القرآن وحده كافٍ في بيان شريعة

الإسلام، فكيف يفهم الحكمة الإلهية في إنزال القرآن على

النبي ﷺ طيلة ثلاثٍ وعشرين سنة، والنبي ﷺ مع

(31) المرجع السابق (ص360).

(32) السنة ومكانتها في التشريع الإسلام، للدكتور مصطفى

السباعي (ص165).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

2- البشارة:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا﴾ (الأحزاب: 45)، وأصل البشارة: كل خبر تتغير به بشرة الوجه، سارًا كان أم مكروهًا، لكنه في الغالب إنما يستعمل في الخبر السار، فإذا استعمل في الخبر السيء كان على خلاف الأصل، وقيل: أراد به: ضع هذا موضع البشارة، كما تقول العرب: تحيتك السوط، وعقابك السيف، يعنى: وضعت السوط مع التحية»⁽³⁸⁾.

قال في أضواء البيان: «والتحقيق أن إطلاق البشارة على الإخبار بما يسوء أسلوب من أساليب اللغة العربية، ومعلوم أن علماء البلاغة يجعلون مثل ذلك مجازًا، ويسمونه استعارة عنادية، ويقسمونها إلى تهكمية وتلميحية كما هو معروف في محله»⁽³⁹⁾.

وتبشيرُ النبي ﷺ على الجملة، وعلى سبيل العموم: في تبشير المطيع بطاعته، وما يترتب عليها في الآخرة، من الفوز برضا الله، ودخول الجنة، وأما على سبيل التفصيل، فقد زحرت كتب السنة بذكر المبشرات سواء لعموم الأمة، أو لأفراد منها.

3- النذارة:

قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: 45).

(38) انظر: التعريفات للجرجاني (ص 65)، الكليات للكفوي

(ص 355)، تفسير السمعاني (1/ 492).

(39) أضواء البيان للشنقيطي (3/ 196).

ثانيًا: تخصيص ألفاظ العموم الواردة في نص التنزيل، وتقييد مطلقاته، وتبيين ما أجمل منها.

ومن أمثله: تحديد نصاب الزكاة، وتعيين محل قطع يد السارق.

ثالثًا: التطبيق العملي للقرآن ليكون الترجمان الفعلي لنصوص الوحي.

وفي هذا تقول عائشة ؓ (ت: 58هـ) لما سُئلت عن أخلاق النبي ﷺ: «كان خلقه القرآن»⁽³⁵⁾.

ومعنى: «كان خلقه القرآن» أي «العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بأدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته»⁽³⁶⁾.

قال في المنار⁽³⁷⁾: «البيان يكون بالأفعال كالأقوال، بل الأفعال أقوى دلالة، وأعصى على تأويل المحرفين».

وهذه المهمة يضطلع بها العلماء، فهم ورثة النبي ﷺ، وحماة الشريعة من بعده، ويحظر على غير العالم بالشريعة: الخوض في أحكامها، والتخرض في الإبانة عنها.

(35) أخرجه مسلم في صحيحه في قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة، وأتى عائشة ؓ يسألها عن بعض المسائل، فقال: فقلت: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن خلقِ رسول الله ﷺ؟ قالت: ألسنت تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن... باب: (رقم 1773).

(36) شرح مسلم (3/ 268)، وانظر: جامع العلوم والحكم (1/ 148)، فيض القدير (5/ 170).

(37) تفسير المنار، رشيد رضا (9/ 430).

والدعوة من حيث اشتقاقها لغة، من الفعل «دعا»، والاسم: الدعوة، وتتضمن الجهرُ بما يُنبئه الناس، ويحثهم عليه⁽⁴³⁾، وأما في الاصطلاح فهي: «الدعوة إلى الإيمان بالله»⁽⁴⁴⁾، وحث الناس على الخير، والهدى.

ووصفها القرآن بالهداية في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: 52).

فوصف الله رسول ﷺ، مدحاً، وثناءً: بأنه يهدي إلى الإسلام، والجنة؛ أي يدعو، والهداية هنا: الهداية الدلالية، وهي عائدة إلى تبليغ دين الله تعالى، وإلى الدعوة إلى الله.

وقد فسّر مجاهد (ت: 104هـ): ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾، قال: «تدعو»، وكذا عن قتادة، والسدي⁽⁴⁵⁾.

ومما يحسن ذكره هنا - لارتباطه بالدعوة إلى الإسلام -:

عالمية وعموم رسالته ﷺ:

ويدل عليها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: 158)، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّمَّنْ لَدُنْهُ﴾ (الكهف: 1-2)، وقال في سورة الشورى: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى: 7).

والنذارة: «نقيض البشارة، وهي الإخبار بالمكروه»⁽⁴⁰⁾ ولا يكاد يكون إلا في التخويف⁽⁴¹⁾، وإنذارهم في الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: 45): من النار أن يدخلوها، فيعدبوا بها إن هم كذبوك، وخالفوا ما جئتهم به من عند الله⁽⁴²⁾.

فمن مهام رسالته ﷺ: الإنذار والتخويف من عذاب الله وشديد بأسه للمخالفين لرسله، والمكذبين بآياته، والإنذار يشمل عذاب الدنيا والآخرة.

4- الدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ۖ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: 46)، وجاء التكليفُ بها صريحًا في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِّدْ لَهُم بِآيَاتِنَا إِحْسَانًا﴾ (النحل: 125)، وقال سبحانه: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ (القصص: 87).

(43) انظر: الصحاح، للجوهري (1/ 206)، معجم مقاييس اللغة،

لابن فارس (2/ 297)، لسان العرب، لابن منظور (1/ 986) (دعا).

(44) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (15/ 157)، هداية المرشدين، علي محفوظ (ص 17).

(45) انظر: جامع البيان، للطبري (21/ 561).

(40) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (1/ 25).

(41) الصحاح، للجوهري (2/ 825 - 826)، مقاييس اللغة (1/ 25)، وفي لسان العرب، لابن منظور (5/ 202-203):

أصل الإنذار: الإعلام، يقال: أنذرتُهُ؛ إذا أعلمته، فأنا مُنذِر، ونذير، أي مُعلم، ومُخوِّف، ومُخدِّر.

(42) انظر: جامع البيان، للطبري (1/ 25).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

روى مسلم (ت: 261هـ) في صحيحه من حديث

عائشة (ت: 58هـ) قالت: «دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلما به بشيء، لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما وسبهما، فلما خرجا، قلت: يا رسول الله، من أصاب من الخير شيئاً، ما أصابه هذان، قال: وما ذاك؟

قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما، قال: أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟

قلت: اللهم إنا أنا بشر، فأبي المسلم لعنته، أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً»⁽⁴⁸⁾.

وكان إذا سئل أن يدعو على أحد، مسلماً كان أو كافراً، عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له، كما سئل أن يدعو على المشركين، فقال: (إني لم أبعث لعناً، وإنما بعثت رحمة)⁽⁴⁹⁾⁽⁵⁰⁾.

وهذه المهام الثلاثة السابقة منوطة بالعلماء، والدعاة إلى الله على بصيرة.

5- الحكم بين الناس:

وهذه مهمة منوطة به ﷺ من حيث هو إمام للمسلمين، وقائد لهم، وقد أمر به النبي ﷺ صراحة في

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿سبأ: 28﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿الأنبياء: 107﴾.

فأبان ﷺ: أن رسالته ﷺ هي للعالمين كافة، وللشعر جميعاً دون تخصيص، وأن رسالته هي رحمة الله للعالمين، وارتباط هذين الأمرين: عموم رسالته، وأنها رحمة للعالمين، مؤمنهم، وكافرهم، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما⁽⁴⁶⁾: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، كُتِبَ لَهُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، عُوِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَّمَ مِنَ الْخُسْفِ وَالْقَذْفِ».

قال الطبري (ت: 310هـ): «فإن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة لجميع العالمين، مؤمنهم، وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء به من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله».

ومع عموم رسالته، فقد جعلها سبحانه: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿47﴾.

(48) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه (رقم: 2600).

(49) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (رقم: 2599).

(50) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (2/ 430-442).

(46) أخرجه الطبري في جامع البيان (18/ 552)، وجعله أولى الأقوال بالصواب في تفسير ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿، وانظر: تفسير يحيى بن سلام (1/ 350).

(47) ومن لطائف هذه الآية: أنها جاءت في خاتمة سورة الأنبياء، ووصف بها ﷺ دون غيره. انظر: تفسير المنار، لرشيد رضا (3/ 5).

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴿ (الجمعة:2).

والتزكية: «إكساب الزكاة، وهي نهاء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم... وأصل التزكية: نفي ما يستقبح قولاً أو فعلاً، وحققتها الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان»⁽⁵¹⁾.

وقد أبان عليه السلام عن هذا الأمر بقوله: «إننا بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»⁽⁵²⁾، فجعل غاية بعثه: إتمام صالح الأخلاق، وحسنها، والأمثلة على كمال الأخلاق التي بُعث بها تقصُر عنه هذه الأوراق.

قال الشيخ محمد عبده (ت:1323هـ): «فإن الإسلام كما جاء بالتوحيد الماحي للشرك، جاء بالتهذيب المطهر من سفاسف الأخلاق، وقبائح العادات والمعاصي التي كانت فاشية في العرب... وكانوا يسفكون الدماء فيما بينهم لأهون سبب يثير حميتهم الجاهلية؛ لما اعتادوه من البغي في الثارات، ومن شن الغارات ونهب بعضهم بعضاً... وقد زكّاهم النبي عليه السلام من ذلك كله باقتدائهم بأخلاقه العظيمة في عباداته الكاملة وآدابه العالية، وجمعهم بعد تلك الفرقة، وألّف الله بينهم على يديه، حتى صاروا كرجل واحد، وجعلت شريعته ذمتهم

(51) التوقيف على مهات التعاريف (ص115)، وانظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (ص282).

(52) أخرجه أحمد (رقم:8939)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم:273)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم:2833).

قوله عزّ شأنه: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ ﴾ (النساء:105).

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة:42).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة:48).

وأمر الناس بالتحاكم إليه، والانصياع لحكمه، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَهُمْ مُسْلِمُونَ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء:65).

وكل من أوكل إليه أمر الحكم، والقضاء بين الناس؛ فليعلم أنها مهمة نبي الله عليه السلام، وما كان من مهامه؛ فهو أولى الأمور بأن يقوم وفق شرعه، وأمره، ونهيه، ويدخل تحت هذه المهمة: ما يلائم أفراد الناس؛ فيعمل به بما لا يتجاوز فيه المكلف حق غيره، فيحكم الإنسان نفسه، ومن تحت ولايته يحكم الله، وإقامة شرعه.

6- التزكية:

قال سبحانه: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ (البقرة:129)، وقوله تعالى: ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ (آل عمران:164)، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

الأمر ﷺ (آل عمران: 159).

قال القرطبي (ت: 671هـ) هذا: «يدل على جواز الاجتهاد في الأمور، والأخذ بالظنون مع إمكان الوحي، فإن الله أذن لرسوله ﷺ في ذلك...»⁽⁵⁴⁾.

وثانيهما: في الاستدراك عليه ﷺ إذا أخطأ في اجتهاده:

والأمثلة على هذا النوع كثيرة، فمنها: الاستدراك عليه ﷺ في قضية أسارى بدر⁽⁵⁵⁾، والاستدراك عليه ﷺ في استغفاره لعمه أبي طالب⁽⁵⁶⁾، والاستدراك عليه ﷺ في الصلاة على رأس المنافقين⁽⁵⁷⁾.

والمستفاد من هذه الأمثلة: أن النبي ﷺ كان يجتهد في الحكم الشرعي، واجتهاده بمثابة تشريع، وأمر، وإلزام ما دام الوحي قد أقره على اجتهاده، فإذا استدرك عليه الوحي، كان اجتهاده خطأ بشرياً.

وزعم بعضهم: أن استدراك الوحي عليه ﷺ يدل على عدم جواز اجتهاده⁽⁵⁸⁾!

(54) الجامع لأحكام القرآن (4/ 205).

(55) انظر: صحيح الإمام مسلم كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (رقم: 4687).

(56) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» (رقم: 4772).

(57) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب «أَسْتَغْفِرُ هُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ هُمْ» (رقم: 4670).

(58) انظر: من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث (ص 11) وما بعدها، لجورج طرابيشي.

واحدة يسعى بها أذناهم... فأبي تزكية أعلى من هذه التزكية؟»⁽⁵³⁾.

7- تشريع الأحكام، وبيانها:

قال الله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: 157). فأسند له الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحلال الطيبات، وتحريم الخبائث، وهذه معالم التشريع بمعناه العام الكلي، حيث يشمل الاعتقادات، والسلوك والأخلاق، ويشمل الأحكام التكليفية المعروفة بـ«الفقه»؛ فهي تدور على الأمر والنهي، والتحليل والتحريم.

وقد أسند له الحق ﷻ هذه المهمة استقلالاً، ولم يُقيدها تأكيداً على ما يُعد من بدهيات الشريعة، ومُسلمات النبوة والرُسالة، حتى جاء من يُجادل في هذا الأصل، ويُغض من قدر الرُّسل، فيمنعهم مما أرسلهم الله به، وكأنهم مُتهمون في البلاغ، ودون رتبة البيان!

8- الاجتهاد في تطبيق الأحكام:

كان النبي ﷺ يجتهد في الحكم على الوقائع، وتطبيق الأحكام، والدلالة على ذلك من طريقتين: أولهما: إباحة الاجتهاد له في تطبيق الأحكام بدلالة القرآن:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْتَفْذُنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ (النور: 62)، وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي﴾

(53) تفسير المنار (2/ 23).

تجوز الخطأ عليهم سواء؛ إلا أنهم لا يُقَرَّون على إمصائه، فلم يعتبر فيه استدراك من بعدهم من الأنبياء⁽⁵⁹⁾. وهذه المهمة تُسند لعلماء الشريعة، الموصوفين بالاجتهاد في أحكام الشريعة.

9- الجهاد في سبيل الله:

وهي مهمة تنفيذية، مُنَاطةً به ﷺ بوصفه إماماً للمسلمين، وقائداً لهم، وقد تكررت فيها الآيات الصريحة بأمره بالقيام به، وهي على نوعين:

- أما جهاد الحجة والبيان، فجاء الأمر الإلهي له ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَنَّهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: 52).

قال ابن عباس (ت: 68هـ) ﷺ: ﴿وَجَنَّهُمْ بِهِ﴾ أي «بالقرآن»⁽⁶⁰⁾، وقيل بالإسلام». وهذه السورة مكية⁽⁶¹⁾ نزلت قبل أن يهاجر النبي ﷺ، وقبل أن يُؤمَّرَ بالقتال، ولم يُؤذَنَ فيه، وإنما كان هذا الجهاد بالعلم، والقلب، والبيان، والدعوة⁽⁶²⁾.

- وأمر ﷺ بالجهاد بالسلاح، وقاتل الكفار والبغاة، والمرتدين، وتحريض المؤمنين عليه، قال تعالى:

(59) الجامع لأحكام القرآن (22/ 309).

(60) أخرجه الطبري عن ابن عباس، جامع البيان للطبري (23/ 19)، وانظر: زاد المعاد (3/ 5).

(61) انظر: جامع البيان، للطبري (19/ 23)، زاد المسير (3/ 6).

(62) انظر: مجموع الفتاوى (28/ 38).

والجواب على هذا التخرُّص: أننا بين أمرين لا ثالث لهما: الأول: أن يكون الاستدراك على حكمه ﷺ على الواقعة دون انتظار الوحي، والثاني: أن يكون الاستدراك عليه ﷺ في عين اجتهاده، من حيث موافقته للحق وعدمه.

والقول الأول يلزم عليه: أن النبي ﷺ كان يُنهى عن مجرد الحكم، ومع ذلك يتكرر ذلك منه! فهل هناك عاقلٌ يقول بهذا القول؟ هل يُمكن أن ينهى الله تعالى نبيه ﷺ عن استعجال حكم الوحي، وهو يكرر هذا الأمر مراراً وتكراراً؟

إذا لم يبق إلا الاحتمال الثاني؛ أنه ﷺ كان متروكاً له حرية الاجتهاد، فما أقره عليه الوحي، أصبح حكماً نافذاً، وما استُدرك عليه فهو من باب الخطأ في الحكم لا غير.

قال القرطبي: «واختلف العلماء في جواز الاجتهاد على الأنبياء فمنعه قوم، وجوزه المحققون، لأنه ليس فيه استحالة عقلية، لأنه دليل شرعي فلا إحالة أن يستدل به الأنبياء... فإن قيل: إنما يكون دليلاً إذا عدم النص، وهم لا يُعدمونه. قلنا: إذا لم ينزل الملك؛ فقد عدم النص عندهم، وصاروا في البحث كغيرهم من المجتهدين عن معاني النصوص التي عندهم...»

وأن نبينا وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم في

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

من الأحكام، وهي تتضمن شهادة من الله تعالى بأنه أكمل الدين، وأتم النعمة، ورضي الإسلام ديناً لعباده.

المبحث الثاني

ما يخرج من مهمة الرسول ﷺ

يخرج من مهمة الرسول ﷺ بدلالة القرآن عدة

أمور، منها:

1- إجبار الناس على الإيمان، وإكراههم عليه:

وأغلب الآيات التي جاء القصر فيها بالبلاغ هي في هذا السياق.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: 99).

قال ابن عباس (ت: 68هـ) في هذه الآية، ونحوها من الآيات في موضوعها: «إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس، ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله: أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول⁽⁶⁵⁾، ولا يضل إلا من سبق له من

(65) وهو ما أشار له النبي ﷺ في حديث علي بن أبي طالب ؓ، قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأنا النبي ﷺ فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مخضرة، فنكس فجعل ينكت بمخضرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا كتبت مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقيته أو سعيدة» فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن=

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ (الأنفال: 65)، وقوله تعالى: ﴿ فَفَقْتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: 84).

وقد حقق النبي ﷺ الجهاد الشامل في حياته الشريفة، وحقق ما أمر الله به عباده أتم تحقيق.

10- التبعيد لله تعالى:

قال تعالى: ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ (هود: 123)، وقال: ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ (مريم: 65)، والتعبد: فعلُ العبادة، وهي: «كل ما يُحبه الله، ويرضاه من الأقوال الظاهرة، والباطنة»⁽⁶³⁾.

وهذه المهمة: أمرٌ مُشترك بين جميع المكلفين، والأمر فيه أمرٌ لجميع أمته ﷺ، وإنما خصه به تشریفاً، وتحفيزاً لأتباعه للاقتداء به ﷺ، وفيها تثبيتٌ له ﷺ ومددٌ إلهي في دعوة الناس، وتحمل أعباء هذه الدعوة، وفيها إرشاد لأتباعه ﷺ أن يقتدوا به في ذلك.

قال ابن عاشور (ت: 1879هـ): «على الرسول أموراً آخر غير البلاغ مثل التبعيد لله تعالى»⁽⁶⁴⁾.

فهذه جملة من أعظم المهام التي بُعث بها ﷺ نظمها قول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: 3)، وهذه الآية جاءت في آخر سور القرآن نزولاً، وبعد بيان جملة

(63) العبودية، لابن تيمية (ص44).

(64) التحرير والتنوير (5/ 224).

الله الشقاء، في الذكر الأول»⁽⁶⁶⁾.
فإن الله غني عن إيمان المُجبر، والمُكره، ولا يقبله
منهم ولو وقع، بل الإكراه يتعارض مع لفظ الإيمان،
ومقتضاه.

قال مقاتل (ت:150هـ) - عن الآية -:

«نسختها آية السيف في براءة»⁽⁶⁷⁾.
وقال تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ

عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام:66).

والوكيل هو الحفيظ والرقيب⁽⁶⁸⁾، فيكون معنى
قوله تعالى: ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ أي « بحفيظ
لأعمالكم حتى أجازيكم بها، إنما أنا منذر، والله المجازي
لكم بأعمالكم»⁽⁶⁹⁾.

قال رشيد رضا (ت:1354هـ): «والرسول مُبلِّغ
عن الله تعالى، يُذَكِّرُ الناس، ويعلمهم، ويبشرهم،
وينذرهم، ويُقيم دين الله فيهم، هذه وظيفته، وليس
وكيلاً عن ربه ومُرْسِلَهُ، ولا يُعْطَى القدرة على التصرف
في عبادته حتى يجبرهم على الإيمان إجباراً، ويكرههم عليه
إكراهاً ﴿ لَّا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة:256)... ومن هنا قال
الزجاج (ت:311هـ)⁽⁷⁰⁾ في تفسير العبارة: «أي أي لم

=كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة،
وأما من كان منا من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل
الشقاوة، قال: «أما أهل السعادة فيسرون لعمل السعادة، وأما
أهل الشقاوة فيسرون لعمل الشقاوة» ثم قرأ: قوله تعالى:
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ (الليل:5-6)
... الآية. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب موعظة
المُحَدَّث عند القبر... (رقم:1362)، مسلم في القدر، باب
كيفية خلق الأدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه، وأجله، وعمله،
وشقاوته، وسعادته (رقم:2647).

أخرجه الطبري في جامع البيان (15/211)، ولم يذكر في الآية
خلاقاً بين أهل التأويل.

(67) تفسير مُقاتل (2/250).

(68) جامع البيان (9/311).

(69) تفسير ابن أبي زمنين (ص184).

(70) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (2/260)، ونص كلامه: «أي

إنما أدعوكم إلى الله، وإلى شريعته، ولم أؤمر بحربكم، ولا
أخذكم بالإيمان، كما يؤخذ الموكل بالشيء، يلزم بلوغ آخره».

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

وقد رجح الطبري (ت: 310 هـ) (73) القراءة

الأولى من جهة المعنى - على منهجه في الترجيح بين القراءات، ولو كانت ثابتة - لاعتبار السياق، وأن سياق الآيات إنما هو في اليهود والنصارى، وذكر كفرهم وضلالهم، وأن هذا هو الظاهر المفهوم، أنها في شأنهم، بخلاف المعنى على القراءة الثانية؛ فإنه لا ذكر له في هذا الموطن.

3 - محاسبة النيات، والبواطن.

وذلك أن محاسبة النيات مبني على إدراكها، وإدراكها غيب لا يعلمه بشر، وقد أمر الله نبيه ﷺ في مواطن عديدة أن يقول: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ ﴾ (الأنعام: 50).

فعلم الغيب مما اختص به الخالق سبحانه، والأنبياء بشر لا يعلمون من الغيب؛ إلا ما خصهم الله به: ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (آل عمران: 64) إلا من أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصْدًا ﴿ (الجن: 26-27).

ومما يبين عدم إطلاع النبي ﷺ على ما تُخفيه

(75) جامع البيان، للطبري (2/ 5558)، وكلامه في أمرين: في ترجيح قراءة نافع، وفي توجيه قراءة الجمهور على أبي رسول الله ﷺ، وتعقبه ابن كثير في تفسيره (1/ 280)، وانظر: تفسير المنار (1/ 364)، والحجة في ترجيح المعنى مع الطبري، وانظر: تعليق أحمد شاكر عليه.

أؤمر بحربكم، ومنعكم عن التكذيب» (71).

2- السؤال عن مصير الكافرين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (البقرة: 119).

وذلك على قراءة نافع، ويعقوب: ﴿ وَلَا تُسْأَلُ ﴾، بالجزم، بلا الناهية (72).

فيكون المعنى عليه: «إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا؛ لتبليغ ما أرسلت به، لا لتسأل عن أصحاب الجحيم؛ فلا تسأل عن حالهم» (73).

وقيل المعنى (74): النهي عن التأسف عليهم بعد أن حقت عليهم كلمة الله، وذلك أن النبي ﷺ كان كثير التأسف على إعراض المشركين؛ حتى قال له الله ﷻ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَنخِعُ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: 6).

والقراءة الثانية، وهي قراءة أكثر القراء: «أي: لا نسألك عن كفر من كفر بك».

(71) تفسير المنار (7/ 418)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (4/ 298).

(72) حجة القراءات لأبي زرعة (ص 111)، إيضاح الوقف والابتداء، للأنباري (1/ 530)، جامع البيان، للطبري (2/ 5558)، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية (ص 168)، وكلا القراءتين متواترة.

(73) جامع البيان، للطبري (2/ 5558)، وانظر: المراجع السابقة.

(74) المراجع السابقة في قراءة نافع.

عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿ (آل عمران: 128).
وهذه الآية نزلت عقب معركة أحد، بعد أن شجَّ
رأس رسول الله ﷺ، وكُسرت رُباعيته⁽⁷⁸⁾.

والمعنى: ليس لك من أمر المشركين الذين
حاربوك، وأذوك شيء، أن يُفْلحوا، أو لا يُفْلحوا، بل أمر
فلاحهم، وصلاحهم بيد الله وحده.
فإن كان هذا يُقال لرسول الله ﷺ؛ فكيف
بغيره؟!

وقيل⁽⁷⁹⁾: أنها نزلت في دعاء الرسول ﷺ على نفرٍ
من المشركين، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أنه سمع

(78) أورد البخاري مُعلقاً عن أنس رضي الله عنه، كتاب التفسير، باب ليس
لك من الأمر شيء: «شجَّ النبي ﷺ يوم أحد، فقال: (كيف
يُفْلح قوم شجوا نبيهم)؛ فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ
يُتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (آل عمران: 128)،
وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد، والسير، باب غزوة أحد
(رقم: 1791)، وبه قال قتادة، فيما أخرجه عنه عبد الرزاق في
تفسيره (411/1) من طريق: مَعْمَر: «عن قتادة أن ربيعة
رسول الله أصيبت يوم أحد، أصابها عتبة بن أبي وقاص، وشجه
في جبهته، فكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل عن النبي الدَّم،
والنبي يقول: (كيف يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم)؛ فأُنزل الله
تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَالِمُونَ ﴾».

(79) انظر في التعليق على أسباب النزول، وفي توجيه الدعاء على
المشركين: السنن الكبرى، للبيهقي (207/2)، معرفة السنن
والآثار له (81/2)، معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس في
(473/1)، العُجاب في بيان الأسباب (746-752)

الأفئدة والصدور: قوله سبحانه: ﴿ تُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا
يُبْدُونَ لَكَ ﴾ (آل عمران: 154).

4- الهداية التوفيقية:

قال سبحانه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: 56).

قال الزجاج (ت: 311هـ): «أجمع المفسرون أنها
نزلت في أبي طالب (ت: 3 ق.هـ)»⁽⁷⁶⁾.

وقال مجاهد (ت: 104هـ) في قوله: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي ﴾ «يعني: لمن قَدَّر له الهدى، والضلالة»⁽⁷⁷⁾.

5- الحكم على مصير البشر:

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ

(76) معاني القرآن، للزجاج (4/149)، ويدل على ذلك: حديث
سعيد بن المسيب، عن أبيه: «أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل
عنه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، فقال: (أي عم، قل: لا إله إلا
الله، كلمة أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل، وعبد الله بن
أبي أمية: «يا أبا طالب: ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزا
يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: «على ملة عبد المطلب»،
فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك، ما لم أنه عنك)، فنزلت: ﴿ مَا
كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ
كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾
(التوبة: 113)، ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾
(القصص: 56). أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب
قصة أبي طالب (رقم: 3884)، ومسلم، كتاب الإيثار، باب
أول الإيثار قول: لا إله إلا الله (رقم: 24).

(77) تفسير مجاهد (ص530).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

قال في التحرير والتنوير⁽⁸³⁾: «ويجوز أن تحمل الجملة على أنها كناية عن صرف النبي ﷺ عن الاشتغال بشأن ما صنع الله بالذين كفروا، من قطع طرفهم، وكتبتهم أو توبة عليهم، أو تعذيب لهم: أي فذلك موكول إلينا نحققه متى أردنا، ويتخلف متى أردنا على حسب ما تقتضيه حكمتنا، وذلك كالاعتذار عن تخلف نصر المسلمين يوم أحد، فلفظ ﴿الْأَمْر﴾ بمعنى شأن المشركين».

المستفاد من تلك المستثنيات:

يستفاد من هذه المستثنيات: أن رسول الله ﷺ بُعث مُعلِّمًا، ومُربِّيًّا، ومُوقِّمًا لحياة الناس، وقدوة للبشر في تطبيق نهج الوحي الذي أَرادَه اللهُ تعالى، ومن تمام هذه القدوة: أن يُعلم الفارق بين المخلوق والخالق، وأن الله تعالى شأنه اختص بها لا يُشركه فيه أحدٌ من البشر مهما علا قدره، فعلم الغيب، وتصريف الأقدار، والتوفيق لمعرفة الحق واتباعه، والمجازاة في الآخرة هي خصائص إلهية لم تُعط لبشرٍ، بل هي شأن إلهي خالص.

وليس في هذه المستثنيات ما يغض من قدر رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - فإنهم قد اصطَفوا بأعظم اصطفاء، فكانوا المبلغين لدين الله، والعاملين بمنهجه في خلقه، والقائمين بأمره في أرضه، لا ينطقون عن الهوى، ولا يأمرون بالردى، بل طاعتهم هي عين

(83) التحرير والتنوير، لابن عاشور (80/4).

رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر، يقول: «اللهم العن فلانا، وفلانا، وفلانا، بعد ما يقول سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، إلى قوله: ﴿فَأِنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾⁽⁸⁰⁾.

قال ابن خزيمة (ت: 311هـ)⁽⁸¹⁾ أن هذه الآيات نزلت: «فيمن كان يدعو النبي ﷺ عليهم باللعن من المنافقين والكفار؛ فأعلمه الله ﷻ: أن ليس للنبي ﷺ من الأمر شيء في هؤلاء الذين كان النبي ﷺ يلعنهم في قنوته، وأخبر أنه إن تاب عليهم فهداهم للإيمان، أو عدَّهم على كفرهم ونفاقهم، فهم ظالمون، وقت كفرهم، ونفاقهم».

وإن من تمام هذا العتاب أن يُقال: صدق الله، فقد تيب على من دعا ﷺ عليهم⁽⁸²⁾.

(80) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ليس لك من الأمر شيء (رقم: 4559).

(81) صحيح ابن خزيمة (1/316).

(82) وهو مروى عن ابن عمر ﷺ، أخرجه أحمد في المسند (رقم: 5812)، وابن خزيمة في صحيحه (رقم: 623)، عن نافع، عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة نفر؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾ (آل عمران: 128)، قال: «فهداهم الله للإسلام» حسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند (2/104)، وانظر: العُجاب في بيان الأسباب، لابن حجر (2/747).

سوى تبليغ الدّين؟ ومثله في الآية الثانية: ليس الرسول سوى منذر، لا مهمة له سوى ذلك، وفي الآية الأخيرة: إنها هو مُذَكَّرٌ لا غير.

إن الغرض من هذا الأسلوب: الاهتمام باللفظ المقصود عليه «البلاغ، الإنذار، التذكير»، ويُفهم منه ما هو أعم من ذلك، بحسب الحال الذي نزلت لأجله الآية، وسياقها، فيُدرِك أن الآية الأولى: جاءت ردًّا على من يحتج بالقدر، والمشية الإلهية في الهداية والإضلال؛ فناسب أن يأتي الجواب عليهم - على لسان النبي ﷺ: دعونا من الأعذار الباطلة، والحجج الواهية، فأنا لن أحاسبكم عليها؛ إنما عليّ البلاغ، والحساب والمجازاة لله تعالى.

وفي الآية الثانية: أبانت الآية تعنت المشركين، ومطالبتهم بأن يكون مع النبي كنزًا، أو يأتي معه ملك، فيكون الجواب: هذا ليس من مهمامي، ولا من شروط رسالتي؛ إنما أنا نذير.

وفي الآية الثالثة: تأتي الآية في سياق الحساب والجزاء في الآخرة، والدلائل على وحدانية الله، واستحقاقه وحده للعبادة، ثم يختمها بتحديد مهمة الرسول ﷺ بالتذكير بهذه الآيات والدلائل، وأنه لا يملك أطرهم على الإيمان بالسيطرة، والقوة.

وعلى يسر فهم هذه المعاني، وإدراكها من خلال سماعها؛ إلا أن بعض من يُجادلون في آيات الله فهموا

طاعة الله تعالى: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (النساء: 64).

المبحث الثالث

دلالة القصر في مهمة التبليغ والإنذار والتذكير

المطلب الأول: أسلوب القصر، معناه، ودلالاته.

أوهم أسلوب القصر - الوارد في كثير من الآيات الخاصة بمهمة بلاغ الرسول ﷺ - بأن النبي ﷺ ليست له مهمة سوى تبليغ الرسالة، والتذكير، والإنذار. وذلك لأن كل آية في قسم من هذه الأقسام الثلاثة: (التبليغ، التذكير، الإنذار) جاءت على الغالب بأسلوب القصر، ومنه:

- في التبليغ: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النحل: 35).

- وفي الإنذار: قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (هود: 12).

- وفي التذكير: قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۗ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ (الغاشية: 21-22).

فهو المراد بالآية الأولى: أن الرسول لا مهمة له

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

فهل هذا القصر، يُراد به حصر الحياة الدنيا في اللعب واللهو؟ والجواب: كلا؛ بدليل السياق نفسه؛ فالإيمان والتقوى يقعان في هذه الحياة، وهما ليسا لعباً، ولا لهواً باتفاق العقلاء، والحياة يعمل فيها البر، والفاجر، ويعمل فيها الخير، والشر، ولا يُراد بالقصر إلا أحد معنيين:

أولهما: أنها كاللعب واللهو، مُقارنة بالآخرة، وبما ينفع الإنسان فيها.

وثانيهما: أنها لعبٌ وهو في غالب ما يقع فيها. فالقصر إضافي يُراد منه هذين المعنيين، وما يتفرع عنهما.

فأسلوب القصر، يأتي لإفادة الحصر، وقد يكون حقيقياً بحسب المعنى، والسياق، وقد يكون إضافياً بحسبها أيضاً، ومن الأمثلة التي يأتي فيها القصر إضافي، لا على سبيل الحصر:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء: 94)، وقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَدَسْتَعْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ (الكهف: 55).

فالآية الأولى حَصَرَت المانع من الإيمان: كون المرسلين بشرًا، بينما في الآية الثانية حَصَرَت المانع في أمرين آخرين.

منها معنى - أول ما يبطله عقولهم - فقالوا: هذا يفيد: أن الرسول ليس بمخول سوى بالتذكير، والإنذار، والبلاغ، وليس من مهمته أن يُقيم شريعة في الأرض، ويحكم بها، ويُذود عنها⁽⁸⁴⁾...

وهذا الفهم يُدرك ببدهي العقل: بطلانه؛ لأن آيات القصر في هذا الموضوع، حَصَرَت مهمته في ثلاثة أقسام: التبليغ، والإنذار، والتذكير، وفي كل آية يحصر مهمته في قسم من هذه الأقسام الثلاثة، ومعنى هذا: أن الحصر غير حقيقي، وإنما أسلوب جاءت به اللغة؛ لإفادة معنى آخر، وهي المعاني التي أشرنا لها في التعليق على الآيات.

وإن تمادينا في الإقناع: أليس القرآن أمر النبي ﷺ بأمر خارجة عن هذه الأقسام الثلاثة، فكيف يُطالبه بها، وهو يحصر مهامه في هذه الأقسام؟ ولنضرب مثلاً في نفس الأسلوب في موضوع مُختلف:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ (محمد: 36).

(84) انظر: الإسلام وأصول الحكم، علي عبد الرازق (ص 95) فما بعدها، الإسلام وأصول الحكم دراسة ووثائق، محمد عمارة (ص 46)، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث (ص 11)، ومواطن متفرقة منه.

فجاءت الآية ردًا على زعمهم: أن الرسول لا بد أن يأتي بالآيات، لتصدق دعوى رسالته. ولذا سنعرّف بهذا الأسلوب، ثم نُلقي الضوء على أسلوب القصر الذي تضمنته الآيات، ووجه البلاغة في التعبير به، فإن القصر من أساليب التوكيد القوية؛ «ذلك أنه تأكيد فوق تأكيد؛ لأنه يضغط جملتين في جملة، فهو تركيز شديد في الأسلوب»⁽⁸⁵⁾.

1- تعريف القصر لغة: يأتي بمعنى التخصيص، وبمعنى الحبس.

قال ابن فارس (ت: 395هـ)⁽⁸⁶⁾: «القاف، والصاد، والراء: أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر على الحبس. والأصلان متقاربان... يقال قَصَرْتَهُ؛ إذا حبسته، وهو مقصور؛ أي محبوس، وامرأة قاصرة الطرف: لا تمدُّه إلى غير بعْلِها، كأنَّها تحبس طرفها حبسًا، قال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَنَصِرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ عَيْنُهُنَّ لَأَنْهُنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جِآنٌ﴾ (الرحمن: 56).

ويُعبّر عنه بعض اللغويين بالحصر، «يُقَال: حَصَرَهُ يَحْصِرُهُ حَصْرًا؛ إذا ضَيَّقَ عَلَيْهِ، وَأَحَاطَ بِهِ، وَالْحَصْرُ، هُوَ الْقَصْرُ»⁽⁸⁷⁾.

(89) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (ص 9).
(90) مُعْجَم مَقَائِيسِ اللُّغَةِ، لابن فارس (5/96).
(91) انظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، لابن الزمكاني (164-165). الإتيان في علوم القرآن 2/52.

وعليه: فإن القصر الوارد في آيات التبليغ، والإنذار، والتذكير لا يمنع من تجاوز مهامهم لأمرٍ أخرى، وإنما اقتضاه أسلوب القصر، إما على طريقة قلب الدعوى، وهو: «تخصيص شيء بشيء، مكان شيء، ويخاطب به من يعتقد عكس الحكم الذي أثبتته المتكلم»⁽⁸⁸⁾ - وهي أكثر الطرق ورودًا في مهمة التبليغ والإنذار⁽⁸⁹⁾، ومن أمثلته في الآيات التي معنا: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: 184): أي هو نذير مُبين، لا مجنون كما يدعون.

أو على أسلوب قصر الأفراد⁽⁹⁰⁾، وهو: «تخصيص شيء دون شيء، ويخاطب به من يعتقد الشركة، بين صفتين في موصوف واحد، أو شركة موصوفين في صفة واحدة»⁽⁹¹⁾، ومن أمثلته: قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (العنكبوت: 50).

(85) معجم البلاغة العربية (ص 564).
(86) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (ص 116).
(87) تجدر الإشارة إلى أن المقصود بالقصر الفردي: قصر مفردة على مفردة، والمقصود بالقصر التركيبي، قصر جملة على جملة، أو جملة على مفردة، أو مفردة على جملة. انظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (ص 9).
(88) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (ص 123)، معجم البلاغة العربية (ص 498-499).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

(المائدة: 99)، وقوله ﷻ: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الرعد: 40)، فقد قُصرت مهمة الرسول على البلاغ: قصر صفة على موصوف.

ب- قصر الموصوف على الصفة: حسب الموصوف على الصفة، واختصاصه بها، ولا يتجاوزها إلى غيرها؛ إن كان القصر حقيقياً، ويتجاوزها؛ إن كان القصر إضافياً، وقد يشاركه غيره فيها⁽⁹⁶⁾.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ (آل عمران: 144)، فالرسول صفة، وقُصر عليها الموصوف، وهو: محمد ﷺ.

ثانياً: تقسيم القصر باعتبار غرض المتكلم (الحقيقة، والإضافة).

القصر الحقيقي: يُثبت الحكم للمذكور، وينفيه عما عداه، ويكون الإثبات والنفي حقيقي لا مجازي. وأما القصر الإضافي: فإنه يُثبت الحكم للمذكور حقيقة، وينفيه عما عداه مجازاً⁽⁹⁷⁾.

«إذا كان (القصر) عاماً شاملاً في الواقع الخارجي، أو في نفس الملقى؛ فهو حقيقي، كقوله تعالى: قوله تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾

(96) انظر: البلاغة العربية تأصيل وتجديد (ص 40).

(97) انظر عروس الأفرح (2/ 166)، ويُنظر أيضاً عقود الجمان للسيوطي (ص 158)، معترك الأقران (1/ 181)، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، د. السيد أحمد خليل (ص 213).

2- القصر اصطلاحاً: «تخصيص شيء بشيء بعارة كلامية تدل عليه»⁽⁹²⁾.

3- أركان القصر⁽⁹³⁾: الركن الأول: المقصور، وهو الشيء المخصّص، والثاني: المقصور عليه: وهو الذي وضع ليختص به.

ففي قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ (المائدة: 99)، المقصور هنا هو صفة البلاغ، والمقصور عليه هو: الرسول ﷺ، والحصر هنا على وجه الأدعاء والمبالغة؛ لحرصه الشديد على إبلاغ رسالة الله كما بلغت⁽⁹⁴⁾.

4- أقسام القصر:

أولاً: باعتبار طرفيه⁽⁹⁵⁾:

أ- قصر الصفة على الموصوف، يُراد به حسب الصفة على الموصوف، بحيث تختص به، ولا تتجاوزها إلى غيره؛ إن كان القصر حقيقياً، وتتجاوزها إلى غيره؛ إن كان القصر إضافياً، مع اتصاف الموصوف بغيرها من الصفات أحياناً.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾

(92) البلاغة العربية، للميداني (1/ 523)، وانظر: الإتيان، للسيوطي (2/ 796).

(93) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب (2/ 448)، أساليب بلاغية، له (ص 176).

(94) أساليب بلاغية، د. أحمد مطلوب (ص 176).

(95) انظر: الإيضاح، للقرظيني (ص 18)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (ص 177-178).

تطبيقية لما تم تقريره في هذا المطلب.
المطلب الثاني: دلالة القصر على آيات التبليغ، والإنذار، والتذكير.

أشرنا سابقاً لتعريف القصر، ودلالاته في الفرق بين القصر الحقيقي، والإضافي، وظهر لنا: أن القصر من أساليب التوكيد القوية؛ «ذلك أنه تأكيد فوق تأكيد؛ لأنه يضغط جملتين في جملة، فهو تركيز شديد في الأسلوب»⁽¹⁰¹⁾.

أولاً: حصر مهمة الرسول في البلاغ:

تكرر أسلوب القصر في آيات البلاغ عشر مرات، تسعة منها مُسندة إلى الرسول ﷺ، وآية جاءت بأسلوب الجمع، وهي في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ حُنَّ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النحل: 35).

والآيات على اختلاف سياقاتها، وموضوعاتها، جاء فيها القصر «قصر أفراد»⁽¹⁰²⁾؛ لمناسبة الآية، وهو ما يُدرك من سياق كل آية.

الغرض من قصر مهمة النبي ﷺ على البلاغ⁽¹⁰²⁾:

1 - نفي أن الهداية بيد رسول الله ﷺ:

أ- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

(الأنبياء: 87)، وإن كان المنفي خاصاً؛ فهو إضافي، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴾ (ص: 65)، ومثاله جميع الآيات التي قصرت مهمة الرسول في البلاغ، أو الإنذار، أو التذكير، وستأتي في المطلب الثاني.

5- طرائق القصر: للقصر طرائق متعددة،

والوارد معنا في البحث: طريقتان:

أ- النفي والاستثناء⁽⁹⁹⁾، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ (المائدة: 99).

ب- إنفا⁽⁹⁹⁾: وهي تتضمن معنى (النفي والاستثناء)، ويؤتى بها لإثبات ما يُذكر بعدها، ونفي ما سواه، ومثاله: قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴾ (ص: 65).

قال في نهاية الإرب⁽¹⁰⁰⁾: «واعلم أن أقوى ما تكون «إنفا» إذا كان لا يراد بالكلام الذي بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، فإننا نعلم أنه ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار».

هذه أهم القضايا التي يتناولها البلاغيون في الحديث عن أسلوب القصر، مما له علاقة بهذا البحث.

وننتقل إلى المطلب الثاني: وهو بمثابة دراسة

(98) البلاغة العربية تأصيل وتجديد (ص36)، البلاغة فنونها وأفانها (ص367)، علوم البلاغة، للمرآغي (ص178).

(99) انظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن (ص304).

(100) نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري (7/72).

(101) سبقت الإشارة له.

(102) استفدت طريقة التفسيرات من د. صباح دراز: القصر في القرآن

الكريم، وأساليبه البلاغية (ص125) فما بعدها.

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمَعِينِ ﴿النور: 54﴾.

والملاحظ في هاتين الآيتين أن أسلوب القصر جاء: بأسلوب النفسي، ثم الاستثناء، ليفيد أن الكلام الذي بعده ليس نفس معناه، ولكن للتعريض بأمر هو مقتضاه، وهو هنا: رفع الملام عن الرسول ﷺ في تكذيبهم، وإعراضهم.

2- أن يكون سبب القصر في الآية: نفي محاسبة رسول الله ﷺ للناس، أو أنه يملك مجازاتهم في الآخرة:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا أَلْبَلُغُ الْمَعِينِ ﴾ (المائدة: 92).

ب- قوله تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفَيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَلْبَلُغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (الرعد: 40)، جاءت في سياق نفي أن يأتي الرسول بآية إلا بإذن الله، وهذه الآية: اجتمع فيها: التقديم، والقصر بـ«إنما»، والقصد قصر مهمة الرسول على البلاغ، بحيث لا يتعداه إلى الحساب⁽¹⁰⁴⁾.

ج- وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَلْبَلُغُ الْمَعِينِ ﴾ (النحل: 82)، والتولي: الإعراض، كقوله سبحانه:

عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمَعِينِ ﴿(النحل: 35)﴾.

أسند المشركون شركهم، وتشريعاتهم الباطلة للمشيئة الإلهية، ولم يُطل القرآن في إبطال استدلالهم في هذا الموضوع إلا بالتعقيب بقوله: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمَعِينِ ﴾، وتقرير الكلام: إن الله تعالى شاءت مشيئته، فأرسل لكم رسلاً يُبينون لكم دين الله، وشرعه، فلما أخذتم بمشيئته دون أخرى؟ على البون الشاسع بين الاحتجاجين، وليس هذا محله.

ففي أسلوب القصر في الآية: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمَعِينِ ﴾: «ليس الرسل بمكلفين بإكراه الناس على الإيمان، حتى تسلكوا معهم التَّحَكُّكُ بهم، والإغاظة لهم»⁽¹⁰³⁾، مع ثنيهم عن المُحَاجَّة الباطلة، والأمر باتباع الرُّسل، فالقصر إضافي يُراد به ثنيهم عن الاستدلالات الباطلة، وترك الطريق الواضح البيِّن، ولذا وصف بلاغ الرُّسل: بأنه مُبين، واضح، صريح، لا لبس فيه.

ب- قال تعالى: ﴿ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمَعِينِ ﴾ (العنكبوت: 18).

ج- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

(104) انظر: دلالات التراكييب، دراسة بلاغية، محمد أبو موسى (ص 68).

(103) التحرير والتنوير، لابن عاشور (14/ 148).

رسالة من أرسله، فهو لا يعلم جميع ما بيديه المكلفون من الأعمال والأقوال، وما يكتُمونه منها، فيكون أهلاً لحسابهم جزائهم على أعمالهم، وإنما يعلم ذلك الله وحده... فهو يقول بصيغة الحصر: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ﴾، والبيان لدين الله وشرعه، فبذلك تبرأ ذمته، ويكون من بلغهم هم المسئولون عند الله تعالى».

وفي التحرير والتنوير⁽¹⁰⁸⁾: «والقصر ليس بحقيقي؛ لأن على الرسول أموراً آخر غير البلاغ، مثل التعبد لله تعالى، والخروج إلى الجهاد، والتكاليف التي كلفه الله بها، مثل قيام الليل؛ فتعين أن معنى القصر: ما عليه إلا البلاغ؛ أي دون إلجائكم إلى الإيمان، فالقصر إضافي، فلا ينافي أن على الرسول أشياء كثيرة».

والملاحظ في أسلوب القصر في مهمة البلاغ: أنه جاء لإفادة نفي الهداية التوفيقية، والمحاسبة في الآخرة للرسول ﷺ، وهذا المعنى جاءت به آيات أخر تُبين شدة حرصه ﷺ على إيمان قومه، كما في قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (فاطر: 8).

قال القرطبي (ت: 671هـ): «أي: ليس له الهداية، والتوفيق، ولا الثواب»⁽¹⁰⁹⁾.

قال ابن عاشور (ت: 1296هـ): «ومضمونها أَعذار الناس؛ لأن الرسول قد بلغ إليهم ما أراد الله منهم،

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلُغُ﴾ (الشورى: 48).

قال في التحرير والتنوير⁽¹⁰⁵⁾: «أي فإن أعرضوا عن الدعوة، فلا تقصير منك، ولا غضاضة عليك؛ فإنك قد بلغت البلاغ المبين للمحجة، والقصر إضافي، أي ما عليك إلا البلاغ، لا تقلب قلوبهم إلى الإسلام، أو لا تولي جزاءهم على الإعراض، بل علينا جزاؤهم».

د- قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (المائدة: 99).

هذه الآية جاءت في سياق جملة من الأحكام العملية، وبعدها كذلك في النهي عن كثرة الأسئلة، المُخاطب بها المسلمون، فالظاهر أنهم المقصودون بهذا الخطاب، ومعنى في هذا السياق - كما يقول الزمخشري (ت: 538هـ)⁽¹⁰⁶⁾ -: «تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ، وقامت عليكم الحجة، ولزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في التفريط».

قال في المنار⁽¹⁰⁷⁾: «هذا بيان لوظيفة الرسول، في إثر بيان كون الجزاء بيد الله العليم بكل شيء، وهي أن الرسول - من حيث هو رسول الله - ليس عليه إلا تبليغ

(105) التحرير والتنوير، لابن عاشور (14/241).

(106) الكشاف، للزمخشري (1/683).

(107) تفسير المنار (7/102).

(108) التحرير والتنوير، لابن عاشور (7/61).

(109) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (6/327).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

مُتَحَقِّقِ الْمَعْنَى فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ.
وفي جميع الآيات تسليّةً للنبي ﷺ من تعنت
المشركين⁽¹¹³⁾ في إجابة الدعوة التي حملها لهم النبي ﷺ،
فمفاد أسلوب القصر في هذه الآيات: ليس على النبي
ﷺ إلا أداء رسالة الله إليكم، وعليكم الطاعة⁽¹¹⁴⁾،
وليس عليه أكراه أحدٍ على الإيمان⁽¹¹⁵⁾، بل ما عليه سوى
نفعكم، ولا يلحقه ضررٌ في توليكم.

وهذا القصر هو من قبيل القصر الإضافي، إذ
الكلام حول مسؤولية الرسول ﷺ تجاه قومه في
موضوع رسالته، ولا يدخل فيه: ما يجب على الرسول
ﷺ من واجبات أخرى.

ثانياً: قَصْرُ مَهْمَةِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى الْإِنذَارِ:

تكرر الحصر في النذارة في آيات متعددة، وجاء
التكليف بها دونما استعمال لأسلوب القصر، كما في قوله
تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّي - أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ (الحجر: 89).
والنذير: يدلُّ على معنى المنذر، في قول صاحب
الصَّحاح⁽¹¹⁶⁾، وعلى هذا بعضُ المفسِّرين، وقال الألويسي
(ت: 1270 هـ)⁽¹¹⁷⁾: أنه صفةٌ مشبَّهة، بمعنى مُنذِر.

فلا عذر لهم في التقصير، فالمنة لله ولرسوله فيما أرشدهم
إليه من خير، فالقصر ليس بحقيقي؛ لأن على الرسول
ﷺ أموراً آخر غير التبليغ...⁽¹¹⁰⁾.

ومن الآيات التي جاء فيها أسلوب القصر في
مهمة البلاغ: أضيف للبلاغ صفةُ الإبانة، وتكرر في خمس
آيات:

قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا
فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رَسُولُنَا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ ﴾
(المائدة: 92)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَلْبَلُغُ
الْمُبِينِ ﴾ (النحل: 82)، وقوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ
وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ ﴾
(النور: 54)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن
قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ ﴾
(العنكبوت: 18)، وقوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَيَّ رَسُولُنَا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ ﴾ (التغابن: 12).

والبلاغ المُبين: هو التبليغ الذي زال معه
الشك⁽¹¹¹⁾، ولا لبس فيه، إما في ذاته، وإما في صفته؛ لما
صاحبه من الآيات والمعجزات⁽¹¹²⁾، وكلا الأمرين

(113) انظر: تفسير البيضاوي (191/4).

(114) انظر: جامع البيان، للطبري (207/19).

(115) انظر: تفسير يحيى بن سلام (584/2).

(116) انظر: الصَّحاح، للجوهري (825/2).

(117) انظر: روح المعاني، للألويسي (231/18).

(110) التحرير والتنوير، لابن عاشور (227/5).

(111) انظر: الكشف، للزمخشري (250/3)، (447/3)، تفسير

البيضاوي (191/4).

(112) انظر: تفسير النسفي (515/2).

فناسب أن يقصر مهمته فيما أرسل لأجله، دون الالتفات إلى غيِّهم، وتعنتهم.

قال أبو السعود (ت: 982هـ): ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾: مُرْسَلٌ لِلإِنذَارِ مِنْ سَوْءِ عَاقِبَةِ مَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ، كَدَابٍ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرِّسْلِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلا الإِتْيَانُ بِمَا يَعْلَمُ بِهِ نَبُوتِكَ، وَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى إِزْمَاهِمَ، وَإِلْقَامِهِمُ الْحِجْرَ بِالِإِتْيَانِ بِمَا اقْتَرَحُوا مِنَ الْآيَاتِ⁽¹¹⁸⁾.

وهذا التعنت ناسب أن يكون الخطاب في تحديد مهمته: أمراً يقوله لهم بلسانه ﷺ، وهذا كما في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّنَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (العنكبوت: 50)⁽¹¹⁹⁾.

(118) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (7/5).

(119) ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ رُدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي تَعْتِهِمْ بِعَدَمِ الإِيْتَانِ، وَقَدْ اسْتَوْفَقْنِي: أَنَّ سِيَاقَ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: 46) ثم وجدت في تفسير الطبري جامع البيان (20/53): «وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ انتسخوا شيئاً من بعض كتب أهل الكتاب»، وهو كذلك في تفسير ابن أبي حاتم (9/3073)، ومعاني القرآن، للنحاس (5/233)، وهذا مستبعد أن يكون سبب نزول للآية؛ لأنها في سياق قول مكذبين بالرسالة، ومتعتين في طلب الآيات، فهل هم من أهل الكتاب؟ أم من مشركي العرب؟ لا أجزم بشيء، فالسياق في أهل الكتاب، ونظائر الآية في المشركين، وانظر: معالم التنزيل، للبعوي=

والملاحظ في القصر في مهمة الإنذار: أنه جاء لإبطال تعنت المشركين، وسؤالهم خوارق الآيات، والتعنت في الاقتراحات، ولذا جاء القصر؛ للرد عليهم، وتعددت الغايات في استخدام هذا الأسلوب، وبما يقتضيه السياق، والمعنى، والحال، وأعني بذلك أن تعنت المشركين في الاستجابة لرسول الله ﷺ اقتضى أن يقابل غيِّهم في واقعهم بقصر مهمة النبي ﷺ في الإنذار، لا في غيره مما يفضي إليه تعنتهم.

الغرض من قصر مهمة النبي ﷺ على الإنذار:

1- طلب آيات تؤكد صدق النبي ﷺ.

أ- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَاقٍ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (هود: 12).

ب- وفي قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّنَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (العنكبوت: 50).

ج- وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّنَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: 7).

فهذه الآيات جاءت في سياق طلبهم بالآيات الدالة على صدقه ﷺ، وهذا من قبيل التعنت، والاشترطات، والاقتراحات التي يوردونها عليه ﷺ،

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

للإخبار بموعدها، وإنما لإنذار من يخشاها؛ أي: يخشى وقوعها، وأهوالها.

ومما جاء في سياق علم الغيب:

و- قوله سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [١٢١] إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿ص: 69-70﴾. وهذه الآية تحتمل وجهين⁽¹²³⁾: أن يكون القصر فيها مما يوحى إليه ﷺ - وهو كذلك بلا شك -، فيكون المعنى: إنه لا يوحى إليّ إلا أنني نذيرٌ مُّبِينٌ، والقصر قطعاً غير حقيقياً؛ لأنه ﷺ يوحى إليه غير ذلك أيضاً، أو يكون المعنى: ليس يوحى إليّ إلا؛ لأنني نذيرٌ مُّبِينٌ، أي: نخوف من عذاب الله.

فيكون القصر هنا حقيقي، ولا علاقة للآية - على

هذا المعنى - بمهامه، ووظائفه ﷺ.

2- اتهام النبي ﷺ إما بالسحر، أو الجنون، أو الكذب.

ويأتي القصر في النذارة تسلياً لنبيه ﷺ من شدة

كُفْر المشركين، وإعراضهم، كما في:

أ- قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأعراف: 184).

فدعاهم للتفكير، ووصف الرسول ﷺ

بصاحبهم؛ إذ هم أعلم الناس به، ومعرفتهم به تكذب

افتراءاتهم، «والقصر المستفاد من النفي والاستثناء: قصر

(123) انظر: الكشاف، للزخشي (104/4)، روح المعاني

(221/22).

والغاية من هذا القصر: أن الآيات ليست بيدي،

بل هي بأمر الله، ولست سوى نذيرٌ مُّبِينٌ⁽¹²⁰⁾

قال ابن عاشور (ت: 1296 هـ)⁽¹²¹⁾: «وأفادت

﴿ إِنَّمَا ﴾ قصر النبي ﷺ على صفة النذارة، أي الرسالة

لا يتجاوزها إلى خلق الآيات، أو اقتراحها على ربه، فهو

قصر أفراد⁽¹²²⁾، رداً على زعمهم: أن من حق الموصوف

بالرسالة: أن يأتي بالخوارق المشاهدة».

ومما يدخل في هذا النوع: السؤال عن وقت

الساعة:

د- قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ [١٢٢] قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿

(الملك: 25-26).

هـ- وقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ

مُرْسَلُهَا ﴾ [١٢٣] فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴾ [١٢٤] إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ ﴾ [١٢٥] إِنَّمَا

أَنْتَ مُنذِرٌ مَن تَخْشَاهَا ﴿ (النازعات: 42-45).

وجلي في هاتين الآيتين: أن غرض القصر فيها: أن

علم الساعة عند الله، وأما هو ﷺ فنذيرٌ، لم يأت

= (3/563)، تفسير ابن جزي (1/260)، لباب التأويل،

للخازن (3/383)، تفسير ابن كثير (6/287)، والمراجع

أدناه.

(120) انظر: أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، للبيضاوي (4/197)،

روح المعاني، للألوسي (21/22).

(121) التحرير والتنوير، لابن عاشور (21/13-14).

(122) سبق تعريفه.

قصر أفعاله ﷺ على اتباع الوحي⁽¹²⁷⁾، فهو قصرٌ إضافي.
ثالثاً: حصر مهمة الرسول ﷺ في التذكير.

لم يأت القصر في مهمة التذكير في القرآن إلا في موطن واحد، في قوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية: 21-22).

قال الراغب (ت: 502هـ): «التذكير بمعنى تكرار الذكر بمضمون الرسالة».
المقصود في هذه الآية: الضمير (أنت)، والمراد به الرسول ﷺ.

والمقصود عليه: التذكير، فقصر الموصوف، وهو النبي ﷺ على التذكير، وقد سبق نظيرها في القصر في مهمة الإنذار، عند قوله تعالى: ﴿فَارْتَوْكَيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (التغابن: 12).

وجاء أسلوب القصر لنفي إكراههم على الدين، ولذا قال بعدها: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾.

وفي قوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾: تأكيد تقريره.

قال الطبري (ت: 310هـ)⁽¹²⁸⁾: «يقول: لست عليهم بمُسلِّط⁽¹²⁹⁾، ولا أنت بجبار⁽¹³⁰⁾، تحملهم على ما

موصوف على صفة، وهو يقتضي انحصار أوصاف الرسول ﷺ في النذارة والبيان، وذلك قصر إضافي، هو قصر قلب⁽¹²⁴⁾، أي هو نذير مبين لا مجنون كما يزعمون⁽¹²⁵⁾.

ب- وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 22-23). أي لست إلا خوفاً من عذاب الله، وقد سبق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، ومما يلاحظ أن المفسرين⁽¹²⁶⁾ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أشاروا إلى أن الخطاب فيه تسلية للنبي ﷺ، ومواساة له فيما لقيه من قومه، فكان القصر في الآية؛ لغرض تسليته، وأنه لا يملك أن يهديهم؛ كما أنه لا يسمع الأموات؛ فيستجيبوا له.

ج- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِّي إِنَّمَا بَشِيرٌ وَإِنَّمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأحقاف: 9).

وهذه الآية جاءت في سياق وصفهم لما جاء به ﷺ بالسحر، والافتراء، فأثبت أنه لن يُصيبه إلا ما أصاب الأنبياء قبله من التكذيب، وجاء القصر هنا «على معنى

(127) روح المعاني، للألوسي (11/25).

(128) جامع البيان، للطبري (341/24).

(129) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (5/319).

(130) وهذا فسرها ابن عباس ؓ «يقول: لست عليهم بجبار»=

(124) سبق تعريفه.

(125) التحرير والتنوير، لابن عاشور (9/195).

(126) انظر مثلاً: التفسير الكبير، للرازي (16/18)، الجامع لأحكام

القرآن، للقرطبي (14/341).

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

الوحي، والحكم بين الناس، كما قال تعالى: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ ﴾ (النساء: 105)، وقال ﷺ: قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: 44).

والبيان يكون بالأفعال كالأقوال، بل الأفعال أقوى دلالة وأعصى على تأويل المحرفين. وكما قد أمر تعالى بتحكيم رسوله ﷺ والخضوع لحكمه، أمر بالتأسي به في هديه وسنته: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (الأحزاب: 21).

قلنا: إن هذا لا ينافي الحصر الحقيقي؛ لأن التبليغ لدين الله وشرعه، لا يتم إلا بالعمل، والحكم به، وتنفيذ أحكامه؛ فهو داخل في التبليغ وبيان الوحي». وهذا خلاف لفظي لا يُغير من حقيقة الأمر شي، وهو الأمر الثاني في نهاية هذا البحث:

ثانياً: أن جميع الآيات التي قصرت مهمة النبي ﷺ على البلاغ، والتذكير، والإنذار؛ لا تمنع من تجاوز مهمته ﷺ لأشياء أخرى؛ كما فصلناه في المبحث الثاني.

الخاتمة

نتائج البحث:

بعد هذا الاستعراض الموجز لمهمة الرسول ﷺ في القرآن يظهر بجلاء لكل من يُنعم النظر في دلالات القرآن العظيم، وتوجيهاته للنبي المكرم ﷺ:

تريد، يقول: كلهم إليّ، ودعهم وحكمي فيهم؛ يقال: قد تسيطر فلان على قومه؛ إذا تسلط عليهم».

«والقصر المستفاد بـ ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ قصر إضافي، أي أنت مُذَكِّرٌ، لست وكيلا على تحصيل تذكيرهم، فلا تتخرج من عدم تذكيرهم، فأنت غير مُقَصِّر في تذكيرهم، وهذا تطمينٌ لنفسه الزكية»⁽¹³¹⁾.

وقد يكون غرض القصر في هذه الآية: المشاكلة، والمقابلة، في لفظ التذكير، والله أعلم.

والذي نخلص إليه بعد ضرب هذه الأمثلة:

أولاً: أن القصر في جميعها قصرٌ إضافي، غير حقيقي: يختلف بحسب سياق الآيات، وواقع نزولها؛ فإن المشركين كانوا يُكثرون من الاقتراحات للإيمان، كطلب هدايتهم، أو اشتراط علم النبي الغيب، أو ملكه للكنوز، والخزائن، فكانت دلالة القصر؛ لإبطال اقتراحاتهم، واشتراطتهم.

وقيل: إن القصر في هذه الآيات قصرٌ حقيقي، ولا يتنافى هذا القول مع القول بأنه قصرٌ إضافي من جهة المعاني التي تدل عليها، والآثار المترتبة عليها.

قال في المنار⁽¹³²⁾: «فإن قيل: إن الحصر في هذه الآيات وأمثالها إضافي؛ فإن من وظائف الرُّسل: بيان

=جامع البيان (24/340).

(131) التحرير والتنوير، لابن عاشور (30/306).

(132) تفسير المنار، رشيد رضا (9/430).

قائمة المصادر والمراجع

الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام. القرافي، أحمد بن إدريس الصنهاجي. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1416هـ - 1995م.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بتصوير الطبعة المصرية، د.ت.

أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية. دراز، د. صباح عبيد دراز. د.ط، شبرا: مطبعة الأمانة، 1406هـ.

الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق، دراسة ووثائق. د. محمد عمارة، د.ط، بيروت: المؤسسة العربية 2000م.

الإسلام وأصول الحكم. علي عبد الرازق. تقديم: عمار علي حسن، د.ط، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1433هـ - 2012م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1415هـ.

إيضاح الوقف والابتداء. الأنباري، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار. تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان. د.ط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1390هـ - 1971م.

البحر المحيط في التفسير. ابن حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، أثير الدين الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل، د.ط، بيروت: دار الفكر، 1420هـ.

البلاغة العربية تأصيل وتجديد. الحويني، مصطفى الصاوي. د.ط،

1- أن السُّنَّة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي مصدرٌ مستقلٌ استقلالاً تاماً، وضرب من ضروب الوحي الإلهي على نبينا محمد ﷺ.

2- أن مهمة الرسول ﷺ شملت التبليغ، والإنذار، والتبشير، والتذكير، والحكم بالشرعية، وتحكيمها في حياة الناس، وإقامة حكم الله في الأرض.

3- أن هذه المهام تختلف من جهة منزع اعتبارها، فمنها ما أمر به النبي ﷺ من جهة الرُّسالة والنبوة، ومنها ما كان باعتبار إمامته للمسلمين إمامة عامة، وهذه الاعتبارات تمثل ضوابط في الاقتداء به ﷺ.

4- أن قصر مهمة النبي ﷺ على التبليغ، والإنذار، والتذكير لا يقصد حصر مهامه فيها فقط؛ إذ فُوض ﷺ بما سوى ذلك، كما في الفقرة الثانية من هذا الملخص، وما تضمنه المبحث الثاني من البحث.

التوصيات:

دراسة مهام النبي ووظائفه دراسة موسعة، وتطبيقاتها في السنة النبوية، يصلح أن تُفرد كل مهمةٍ منها ببحوث.

مناقشة دعاوى الاستغناء بالقرآن الكريم عن السُّنَّة النبوية، يصلح أن تُفرد كل دعوى منها ببحوثٍ، لِنقدها، وبيان عوارِها.

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العمري: مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم وتوجيه أسلوب القصر في بعضها...

- د.م: منشأة المعارف، 1985 م.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني. شيخ أمين، د. بكري. ط6، القاهرة: دار العلم للملايين، 1979 م.
- التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1420 هـ.
- التعريفات للجرجاني. الجرجاني، علي بن محمد بن علي. تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1405 هـ.
- تفسير ابن أبي حاتم. أبو حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط، بيروت: المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د.ت.
- التفسير البسيط. الواحدي، الحسن علي بن أحمد بن محمد. تحقيق: د. نورة بنت عبد الله الورثان، ط2، الرياض: دار العبيكان، 1439 هـ.
- تفسير القرآن الحكيم. رشيد رضا، محمد بن رشيد بن علي رضا. د.ط. د.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420 هـ.
- تفسير عبد الرزاق. عبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق: د. محمود محمد عبده، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419 هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن. الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر. ط1. تحقيق: مكتب التحقيق بدار هجر، مصر:
- دار هجر، د.ت.
- الجامع الصحيح. الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة. تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر وآخرون. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384 هـ.
- الرسالة. الشافعي، الإمام، محمد بن إدريس. تحقيق: أحمد محمد شاكر، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، شمس الدين. ط27، بيروت: مؤسسة الرسالة؛ والكويت: مكتبة المنار الإسلامية، 1415 هـ.
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلام. السباعي، الدكتور مصطفى السباعي. ط4، دمشق: المكتب الإسلامي، 1985 م.
- سنن أبي داود. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
- صحيح ابن خزيمة. ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، د.ط، بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.
- صحيح مسلم. مسلم، ابن الحجاج النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. الألباني، محمد بن ناصر الدين. د.ط. بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.
- العبودية. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. تحقيق: زهير الشاويش، ط7، بيروت: المكتب الإسلامي، 1426 هـ-2005 م.
- العجاب في بيان الأسباب. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني.

- عبد الباقي، ط1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي وشركاؤه، 1376هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب. تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط2، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1428هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. ابن حنبل، أحمد، أبو عبدالله الشيباني. د. ط، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د. ت.
- المسند الجامع الصحيح من سنن النبي وأيامه. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. ط3، بيروت: دار ابن كثير، 1407هـ.
- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة. الجيزاني، د. محمد بن حسين. ط5، الدمام: دار ابن الجوزي، 1427هـ.
- معاني القرآن. النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط1، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، د. ت.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن. لاشين، د. عبد الفتاح. د. ط، بيروت: دار الفكر العربي، 2017م.
- من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث. طرايشي، جورج، ط1، بيروت: دار الساقى، 2010م.
- الموافقات. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. تحقيق: أبي عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، السعودية: دار ابن عفان، 1417هـ.
- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية. أبو موسى، محمد. ط2، مصر: مكتبة وهبة، 1408هـ-1978م.
- تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط1، الدمام: دار ابن الجوزي، 1418هـ.
- علوم البلاغة، البيان، والمعاني، والبديع. المراغي، أحمد بن مصطفى، د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.
- الفتاوى الكبرى. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. تحقيق: حسنين محمد مخلوف. ط1، بيروت: دار المعرفة، 1386هـ.
- الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق)، ومعه حاشية ابن الشاط، وحاشية المالكي. القرافي، أحمد بن إدريس الصنهاجي. تحقيق: خليل المنصور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ-1998م.
- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية. حبش، محمد. ط1، دمشق: دار الفكر، 1999م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن. الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2002م.
- الكليات. الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني. تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، د. ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ.
- اللباب في علوم الكتاب. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
- مجموع الفتاوى. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم. تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، ط3، القاهرة: دار الوفاء، 1426هـ.
- محاسن التأويل. القاسمي، محمد جمال الدين. طبعة محمد فؤاد
